السَّبْكُ

بَيْنَ

نَحْوِ الْجُمْلَةِ ونَحْوِ النَّصِّ

الدكتور

أحمد عيد عبد الفتاح حسن

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، جامعة الأزهر

y

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

/

المقدمة

الحمد لله العزيز العليم ، والصلاة والسلام على النبي العربي الكريم ، وعلى آلِ بيته ذوي القلب السليم – مَدَى الدهور ... وبعد ..

فلقد بقيت الأمَّةُ العربيةُ على سليقتها الصافية ، تفيض ألسنتها من البيان سحرًا ، ومن الفصاحةِ دُرًّا ، ومن البلاغةِ أَرَجًا – إلى أن انتشرت رقعة الإسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا من كلِّ حَدَبٍ ، فتطرق اللحنُ إلى اللغة ، وبدأ ينشب أظفاره فيها ؛ فَنَهَضَ الخاصَّةُ إلى جمعها من أفواه الخُلَّص ؛ لاستخلاص الضوابط المُوَجِّهة ووضع القياسات الحاكمة ، فكان أنْ دنا منهم الشَّمُوس ، وذَلَّ لهم الجَمُوح .

وقد تسابق علماء العربية على التأليف في هذا العلم الجليل تأليفًا مستقلاً ، أو شارحًا لمؤلَّف ، من لدن الخليل بن أحمد إلى ما شاء الله تعالى ؛ فوصلت إلينا ضوابط الفصحى خالصةً كما استنبطوها ، وجاءتنا وافيةً كما استخرجوها ، ففريقٌ منَّا شَكَرَ لهم ذلك ؛ فأثنى عليهم خيرًا ، وبنى على ما بنوا ، وجَدَّد في المتناول ، وفريقٌ منَّا عاب عليهم عَدَمَ سبقهم الزمن ، وترْكَ التأليف في موضوعات ومصطلحات فرضتها طبيعة عصر العولمة . أَلا ساءَ ما يحكمون !

ومن المصطلحات التي وضعها النحويون ، وتناولوها ، ونطقت بها كتبهم مصطلح (السبك) ، لكنَّ المؤسف أنَّ جُلّ الدارسين للسبك على أنَّهُ معيار من معايير نحو النص ، لا يذكرون مراد النحويين بالسبك ، ولا يعرضون وسائله عندهم ، ولا نرى لهم إشارة إلا إلى ورود المصطلح عند بعضهم ، وعند أهل الأدب والبلاغة ، كالجاحظ وأبي هلال العسكري .

فدفعتني قراءتي المتأنية للتراث العربيّ إلى الردّ على من بخس النحويين حقهم هذا ، وإظهار مرادهم به ، وتحديد وسائله عندهم ، ولم أقف عند هذا الحد ، بل ثبت بطريق البحث أنَّ أكثر ما سماه الحداثيون سَبْكًا موجود في التراث العربي ، ولا تنقصه إلا تلك التسمية التي أطلقوها (السبك) .

وقد آثرت تقديم هذا البحث إلى القارئ العربي النبيه في تمهيدٍ ، ومبحثين وخاتمة ، أما التمهيد فتناول مصطلحات (الجملة والنص والخطاب) بالتعريف والتحليل .

وأما المبحثان فهما : السبك ووسائله في نحو الجملة ، والسبك ووسائله في نحو النص .

وتلتهما خاتمةٌ اشتملت على أهم النتائج التي أثمرتها تلك الدراسة ففهرس بأهم المصادر والمراجع .

واللهُ – تعالى – جزيلٌ عَطَاؤُهُ ، واسعٌ فَضْلُهُ ، مأمولٌ ثَوَابُهُ ؛ فأسأله إخلاصًا في العمل ، وتجنيبًا للزلل ، وبركةً في الأجل ، وهو حسبي .

المؤلف

التمهيد

(الجملة والنص والخطاب)

أولاً – الجملة :

عن الجملة في اللغة قال الخليل : " والجُملةُ : جماعة كلِّ شيءٍ بكمالِه من الحساب وغيره "[١] ، و" الجملة : واحدة الجُمَلِ . وقد أَجْمَلْتُ الحسابَ ، إذا رددته إلى الجُمْلَةِ "[٢] ، و" أَجْمَلَ الشَّيْءَ : جَمَعَهُ عَن تَفْرِقَةٍ ، وأكثر مَا يسْتَعْمل فِي الكَلام الموجز "[٣].

والجملة في اصطلاح النحويين : ما تركبت من كلمتين فصاعدًا بطريق الإسناد ، سواء أُوجِدَت الفائدة ، نحو قولك : نَجَحَ مُهَنَّدٌ ، أم لم توجد ، نحو قولك : إنْ نَجَحَ مُهَنَّدٌ ... [٤].

والجملة في نظر النصيين " وحدة لغوية قابلة للوصف النحوي ، تحلل من زاويةٍ واحدةٍ ، وهي كونها تركيبًا نحويًّا مجردًا "[٥] .

---

(١) العين (ج م ل) ١٤٣/٦.

(٢) الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية (ج م ل) .

(٣) ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم (ج م ل) .

(٤) ينظر : أحمد بن محمد الأُبّذي الأندلسيّ : الحدود في علم النحو ص٤٧٤.

(٥) بشير إبرير : من لسانيات الجملة إلى نحو النص ص٢٧.

أيُّهُمَا أعَمُّ : الْجُمْلَةُ أمْ الْكَلامُ ؟

إنَّ الْجُمْلةَ أَعَمُّ من الكلام ؛ لأنَّ الكلام يُشتَرطُ فيه الإفَادة ، وأمَّا الجُمْلَةُ فلا يُشتَرط فيها الإفَادَة ؛ فقولك : (قام محمدٌ) كلام ؛ لأنَّه أفاد الحكم بوقوع القيام من محمد ، وهو جملة فعلية مفيدة ، وقولك : (إنْ قام محمدٌ) جملة شرطية غير مفيدة ، وليس كلامًا ؛ لأنَّهُ لم يفد حكمًا يحسن السكوت عليه ، بل الكلام هو مجموع الشرط والجواب معًا (إنْ قام محمدٌ قامتْ سُعَادُ) .

فـ " بَين الْجُمْلَة وَالْكَلام عُمُوم وخصوص مُطلق[1] ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْجُمْلَة أَعم من الْكَلام ؛ لصدقها بِدُونِهِ وَعدم صدقه بِدُونِهَا ، فَكل كَلام جملَة ؛ لوُجُود التَّرْكِيب الإسنادي ، وَلا ينعكس عكسًا لغويًّا ، أَي : لَيْسَ كلُّ جملَة كلامًا ؛ لأَنَّهُ يعْتَبر فِيهِ الإفادة بِخِلافِهَا ، أَلا ترى أَنَّ جملَة الشَّرْط ، نَحْو : قَامَ زيدٌ ، من قَوْلك : إنْ قَامَ زيدٌ قَامَ عَمْرو تسمى جملَة ؛ لاشتمالها على الْمسند والمسند إِلَيْهِ ، وَلا تسمى كلامًا ؛ لأَنَّهُ لا يُفِيد معنى يحسن السُّكُوت عَلَيْهِ ؛ لأَنَّ إِن الشّرطِيَّة أخرجته عَن صلاحيته لذَلِك ؛ لأَنَّ السَّامع ينْتَظر الْجَواب"[2].

([1]) العموم والخصوص المطلق : أنَّهما يجتمعان في الصدق على شيء ، وينفرد أحدهما – وهو الأعم – بالصدق على شيء لا يصدق عليه الآخر ، فيصدق على قولنا : (قام خالدٌ) أنَّهُ كلامٌ وجملةٌ ، كلامٌ ؛ لأنَّهُ مفيدٌ ، وجملةٌ ؛ لأنَّهُ مركب إسنادي ، وتنفرد الجملة بالصدق على قولنا : (إنْ قَامَ خالدٌ) ؛ لأنَّهُ مركب إسنادي، ولا يصدق عليه أنَّهُ كلامٌ ؛ لعدم الفائدة .

([2]) خالد الأزهري : موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ص٣١.

ثانياً - النص :

فـي اللغـة : " النُّـونُ وَالصَّـادُ أَصْـلٌ صَـحِيحٌ يَـدُلُّ عَلَـى رَفْـعٍ وَارْتِفَـاعٍ وَانْتِهَـاءٍ فِـي الشَّـيْءِ . مِنْـهُ قَـوْلُهُمْ : نَـصَّ الْحَـدِيثَ إِلَـى فُـلانٍ : رَفَعَـهُ إِلَيْـهِ . وَالنَّصُّ فِي السَّيْرِ أَرْفَعُهُ ... وَنَصُّ كُلِّ شَيْءٍ : مُنْتَهَاهُ "[١] .

وعند سلفنا " النَّصُّ : اللَّفْظ الْمُفِيد الْمُرْتَفع عَن قبُول التَّأْوِيل ، وَقيل : مَا لا يحْتَمل إِلا تَأْوِيلاً وَاحِدًا ، وقيل : مَا يَسْتَوِي ظَاهره وباطنه ، وَقيل : مَا تعرى لَفْظُهُ عَن الشُّبْهَة وَمَعْنَاهُ عَن الشّركَة ، وَقيل : مَا وَقع فِي بَيَانه إِلَى أَقْصَى غَايَته "[٢] .

وعَرَّف دي بوغراند ، ولفغانغ دريسلر النص بأنَّهُ حدثٌ تواصليٌّ يلزم لكونه نصًّا أن تتوفر له سبعة معايير مجتمعةً ، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف عنه واحدٌ من هذه المعايير ، وهي :

١ – السبك (Cohesion) ، وهو يترتب على مجموعة من الإجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع ، يؤدي السابق منها إلى اللاحق ، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي ، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط .

٢ – الحبك (Coherence) ، وهو التتابع الدلالي للمفاهيم ، وترابط الأفكار داخل النص ، كالتعميم ، والتخصيص ، والسببية .

([١]) أحمد بن فارس القزويني : معجم مقاييس اللغة (نصَّ) .

([٢]) السيوطي : معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ص٦٣ .

٣ – القصد (Intentionality) ، وهو نية منشئ النص تحقيق هدفٍ ما عند دخوله في حدثٍ تواصليٍّ وتفاعلٍ لغويٍّ مع المخاطب ، فليس من قبيل النَّصِّ لغو الكلام ، وحشوه ، وكلام المكره ، والناسي ، والمخطئ ، والسكران .

٤ – القبول أو الاستحسان (Acceptebility) ، وهو قبول المتلقي النصَّ ؛ لأنَّهُ يمثل صورة مقبولة من صور اللغة بين أجزائها تماسك والتحام .

٥ – الإعلامية أو الإخبارية (Informalitivity) ، وهي أن يكون للنص مضمون إخباري يريد المرسلُ إبلاغه للمتلقي .

٦ – الموقفية أو المقامية (Situationality) ، وهي العوامل التي تجعل النصَّ مرتبطًا بموقف سائد يمكن استرجاعه .

٧ – التناص (Intertextuality) ، وهو علاقة تقوم بين النص ونصوص أخرى سابقة على إنشائه مرتبطة به ، كعلاقة الجواب بالسؤال ، وعلاقة الشرح بالمتن ، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص ، وعلاقة الغامض بما يوضحه ، والمحتمل المعنى بما يحدد معناه .

وهذه المعايير تعود إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، هي :

١– ما يتصل بالنَّص نفسه ، وهما معيارا السبك والحبك .

٢– ما يتصل بمستعمل النَّص ، متكلمًا كان أو مستمعًا ، وهما معيارا القصد والقبول .

٣– ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنَّص ، وهي معايير

الإعلامية أو الإخبارية ، والموقفية أو المقامية ، والتناص[١] .

نحو النص :

اتجاه لغوي غربي حديث ، من اللسانيات الوصفية ، يُعْنَى بِوَصْفِ الْبِنْيَةِ الْكُلِّيَّةِ للنَّصِّ ، وتَحْلِيلِهَا ، وبَيَانِ عَلاقَاتِهَا – دون الاقتصار على دراسة الجملة فقط كما هو مألوف في النحو العادي – مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الاطراد والتتابع اللغوية النصية التي تحقق تماسك النص وتناسقه[٢] .

الفرق بين نحو النص ونحو الجملة :

وإثر معرفة المراد بنحو الجملة ونحو النص نبرز أهم نقاط الاختلاف بينهما ، ثم نقاط الاتفاق ، فهاك البيان[٣]:

---

(١) ينظر : دي بوغراند : النص والخطاب والإجراء ، ترجمة د/ تمام حسان ص ١٠٣ – ١٠٥، ودي بوغراند ، ولفغانغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص ، ترجمة/إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد ، ص٢٥، وفهيمة لحلوحي : تحريات في دلالة النص وتداوله ، ص ٢٢٦.

(٢) ينظر : سعيد حسن بحيري : علم لغة النص : المفاهيم والاتجاهات ، ص٥٢.

(٣) ينظر: العيد علاوي : التماسك النحوي أشكاله وآلياته ، ص١٢٣-١٢٥.

أولاً – أبرز نقاط الاختلاف :

١ – من مبادئ نحو الجملة (الاطّراد) ، ومعناه : ثبات القاعدة في الحكم على اللغة الفصيحة ، وما خرج عنها عُدَّ شاذًّا ، وعلى الرُّغم من الاعتراف بالفصاحة للشذوذ ، يظل الشاذُّ شاذًّا . ونحو النص ينأى عن هذه الصفة ؛ فهو يعترف بالمؤشرات الأسلوبية ، وهي تصرفات خاصة يلجأ إليها منشئ النص ؛ ليميزه عن غيره ، أو ليثير بها انتباه المتلقي .

٢ – من مبادئ نحو الجملة (المعيارية) ، وتعني : أنَّ القاعدة سابقةٌ على النص ، وأنَّها أساسُ الصحة والخطأ ، ينبغي أن تراعى عند إرادة القول . ونحو النَّص أبعد ما يكون عن المعيارية ؛ لأنَّهُ نحو تطبيقيّ غير نظريّ ، لا يأتي دوره إلا بعد أن يكتمل النص ، ويكون حاضرًا معرّضًا لتطبيق القواعد عليه ، واستخراجها من مادته .

٣ – من مبادئ نحو الجملة (الإطلاق) ، ومعناه : إطلاق القاعدة النحوية لتصدق على كلِّ ما قيل من قبل ، وما سيقال من بعد ، فهي الحكَم الذي يُرد إليه الكلام كله . ونحو النص لا يطبق على الكلام قبل صياغته أو أثناءها ، بل الحكم دائمًا يكون بعد إنتاج النص .

٤ – من مبادئ نحو الجملة (الاقتصار) ، ومعناه : اقتصار البحث في العلاقات على حدود الجملة الواحدة دون تجاوزها ، إلا عند إرادة معنى الإضراب أو الاستدراك أو العطف أو التعليل ، أو الشرط ، وما أشبه ذلك من الدلالات التي يمكن أن تربط بين جملتين . ونحو النص يتجاوز بحث العلاقات داخل حدود الجملة الواحدة إلى أجزاء النص كله ، محللاً إيَّاها ؛ لأنَّ ميدانه النص كاملاً ، وغايته الكبرى فهم أوجه الترابط التي توفّر للنَّص ترابطه السطحي والعميق .

٥- هناك صفاتٌ تخص نحو النَّص وحده دون نحو الجملة ، وهي خمسة من المعايير السبعة المذكورة من قبل للنص ، وهي : القصد ، والتناصّ ، ورعاية الموقف (المقامية) ، والإعلامية ، والقبول .

ثانياً – نقاط الاتفاق :

يتفق نحو الجملة ونحو النَّص في صفتين هما :

١- السبك ، وهو علاقة لفظية تشمل الافتقار ، والاختصاص ، والتلازم ، والمطابقة ، وعود الضمير ، والتنافي ، والمناسبة المعجمية ، وما شابه هذا .

فجلُّ تلك الوسائل تناوله نحو الجملة ، ولكنَّه لم يُطْلق عليه اسم (السبك، أو وسائله) ، بل أطلقه على شيءٍ آخر سيأتي بيانه .

٢- الحبك ، وهو علاقة في المعنى بين المتضامين تجعل أحدهما غير نابٍ في الفهم عن الآخر ، فلا وجه لجملة فعلية مثل : فهم الحجر ، ولا لجملة اسمية مثل : السماءُ تحتنا ؛ فذلك غير مقبول في الظروف العادية لاستعمال اللغة ، وقد يكون مقبولاً في المواقف غير المعتادة ، كالسخرية ، والمجاز .

تقرير

أولاً - لا يترتب على هذا الاختلاف الواضح بين نحو الجملة ، ونحو النص إمكان إغناء أحدهما عن الآخر ، بل هما يتكاملان ، وقواعد نحو الجملة هي القواعد المؤسسة لنحو النص ؛ " وذلك لأنَّ النصَّ ما هو إلا مجموعة من الجمل ، فكما أنَّ الفونيم وحدة الكلمة، والكلمة وحدة الجملة ، فالجملة وحدة النص "[1] .

ونحو النَّصّ – من وجهة نظري – امتدادٌ طبعيٌّ لنحو الجملة ، ونتيجةٌ حتميَّةٌ لتطور الحياة ، وحركتها لا تتوقف ، وكذلك حركةُ العلم مستمرةٌ ما تعاقب الأجيال ، فما نحو النَّصِّ إلا شعاعُ تجديدٍ في الخطاب النحويّ ، ونظرةٌ حديثةٌ اقتضتها روح العصر ، وطبيعة كل جيلٍ ، وكم من شعاعٍ انطلق لتجديدٍ ما في الخطاب الديني ، أو الثقافي ، أو السياسي ...

وإنَّ المشكلة الحقيقية لتكمن في مسلكين معيبين لا في مذهبين ثانيهما امتداد للأول ، وهما :

المسلك الأول : التعصب البادي من بعض الباحثين لكلِّ ما هو قديمٌ واقفين عند حدوده غير مجاوزين لها ، وإغلاقهم البابَ أمام كلِّ جديدٍ ، مع أنَّ الحركة العلمية ساريةٌ في لغتنا الشريفة ، وروحها لا تتوقف لأجل أحدٍ ، تُضفي على القديم جلالاً وبهاءً ، وتُقدّم كلَّ حينٍ كشفًا عن مواطن جمالٍ ، وروعة بيانٍ ، ووجوه إعجازٍ .

والمسلك الثاني : تطرُّف بعض الباحثين في نظرتهم إلى كتب التراث

([1]) صبحي الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ص٤٠.

العربيّ ، إذ يُقللون من شأنها ، وينبذونها وراء ظهورهم ، ملقين باللائمة على قدماء النحويين ؛ لغفلتهم عن هذا المذهب الحديث الفريد الذي وُلِدَ من غير أمٍّ ولا أبٍ – من وجهة نظرهم – ، وهم بذلك يحاولون قَطْعَ الصلةِ بين نحو الجملة ونحو النص ، ووأد العلاقة بين الحديث والقديم ، وتلك نظرة يرفضها الواقع اللغوي ، وتأباها الحقيقة العلمية .

وهناك طائفة أخرى من العلماء جمعت بين الأصالة والمعاصرة ، تشبعت بالتراث العربي ، وارتوت من حياضه الصافية ، فأخذت تنظر إلى كلِّ جديدٍ وافدٍ بعين الناقد الموضوعي ، فما كان صالحًا منه يخدم التراث ويثريه أخذته ، ودرسته ، وقَدَّمته للناس ، وما كان عاملَ تجديدٍ وتطويرٍ في الخطاب النحوي تَلقفته وأذاعته ، والحكمة ضالة المؤمن ، يأخذها حيث وَجَدَهَا ، ويغتنمها حيث ظَفَرَ بها ، وما كان سيئًا نبذته ، وردته على أصحابه ، مبيّنةً وجوه فساده ، ومواطن عَواره .

وقد يمثل لتلك الطائفة بكتابات كلٍّ من د : تمام حسان ، ومحمد حماسة عبد اللطيف ، وسعيد حسن بحيري ، وصبحي إبراهيم الفقي وأضرابهم !

ثانياً - إذا كان الغربيون قد وضعوا للنَّص معايير سبعة ، تكفل له صحة كونه نَصًّا ، وطبقوها على نصوص لغاتهم ، وليس فيها نصوص مقدسة معصومة ؛ فمن الخطأ العظيم تقليد بعض الباحثين العرب لهم في ذلك كله ، والدعوة إلى تطبيق المعايير كلها على النصوص الدينية عند المسلمين ؛ وذلك لسببين :

أحدهما : أنَّ في تلك المعايير ما لا يليق بالقرآن الكريم والسنة القولية، وهو معيار (التناص) الذي يصطدم وعقيدة المسلمين الراسخة في الكتاب العزيز ، وكلام النبي j ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

والثاني : أنَّ الدعوة لإخضاع النصوص الدينية لمعيار التناص تذكرنا بموقف المعاندين الرافضين لدعوة النبي الخاتم ﷺ في قولهم المذموم بوقوع التناص في الكتاب العزيز ، وتَشَكُّله من نصوص أخرى سابقة عليه، وهي أساطير الأولين ، وقد حكاه عنهم القرآن الكريم في بعض السور ، ومنها سورة الفرقان ، حين قال ﷻ : ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾[1] ، ثم ردَّ عليهم ذلك بقوله ﷻ : ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ ﴾[2] .

أَلا فلتُطبق المعايير السبعة على النصوص الشعرية والنثرية ما خلا النصوص الدينية ، لا حرج في ذلك ؛ فبدراسة معيار التناص فيها تبرز قضية تأثير النصوص في بعضها ، وتأثرها ببعض .

وأما النصوص الدينية فيكتفى في دراستها ، والكشف عن دقائق المعاني فيها ، وتحديد مواطن الجمال ، وروعة البيان – بالمعايير الستة التي تسبق التناص ، ولكلّ لغةٍ ما يناسبها ، ولا يناسب الأخرى ؛ فتلك لغتنا الشريفة نالت قداسةً وجلالاً وعالميةً تنأى بها عن أن تكون تابعةً لغيرها في كل شيء لا متبوعة .

وقد قال بالتناص في القرآن الكريم د/ تمام حسان ، لكنه جعله على مستوى سور القرآن الكريم ، بين بعض سوره وبعض ، ولم يتجاوز ذلك ، معتمدًا في ذلك على مقولة المفسرين : (القرآن يُفَسّر بعضه بعضًا) ، وعلى

---

(1) سورة الفرقان – الآية ٥.

(2) سورة الفرقان – الآية ٦.

تطبيق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لها في كتابه (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) الواقع في تسعة أجزاء ، غير أنَّهُ عاب على الشيخ الشنقيطي عدم تناوله لقصة أصحاب القرية في سورة يس ، الآيات (١٣ – ٢٧).

وخالف المفسرين جميعًا فيما كادوا يجمعون عليه ؛ فليست القرية هي أنطاكية ، بل مصر ، وليس المُرْسِل عيسى عليه السلام ، بل هو الله ﷻ ، وليس المرسلون صادقًا ، ومصدوقًا ، وشمعون ؛ لأنَّ الاسمين الأول والثاني عربيان ، والثالث أعجمي ، بل هم موسى وهارون ومؤمن آل فرعون ، وقد استند في ذلك إلى ما ورد من قصة موسى وهارون عليهما السلام في سور القرآن الكريم ، والرجل المؤمن من آل فرعون في سورتي القصص وغافر ، قائلاً : " تلك هي علاقة التناص بين قصة (أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) وبين الإشارات القرآنية الدالة على أنَّ المقصود بآيات يس (١٣ – ٢٧) هو موسى وهارون والرجل المؤمن من آل فرعون "[١] .

أهم ملامح نحو النص :

من أهم ملامح (نحو النص) أو (لسانيات النص) النظرة الكلية للنص التي ترصد وسائل التماسك والترابط العميق بين أجزائه ، مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة .

فلسانيات النص تصف العلاقات والروابط اللغوية وتدرسها " مثل : العطف ، والسببية ، والاستدراك ، والتحليل ، والعلاقات الدلالية ، والرأسية بخاصة ، كالمناسبة بين الآيات والسور عند المفسرين للقرآن الكريم ، والفصل والوصل

([١]) تمام حسان : اجتهادات لغوية ص٣١٩.

عند البلاغيين ، والعلاقات في الحقيقة كثيرة ومتنوعة ، منها : التعميم والتخصيص ، الإجمال والتفصيل ، الانحطاط والرقي ، وتختلف من نص إلى آخر بحيث يكاد كل نص يبتكر وسائل تماسكه الدلالية"[١] .

ثالثاً – الخطاب :

إنَّ غرض التواصل هو سبب نشوء الخطاب ، وإنَّ " الملفوظ المنظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل "[٢] لهو الخطاب ، وهو " كلُّ تلفظٍ يفترض متكلمًا ومستمعًا ، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما .

إنَّ الملفوظ هو ما تمَّ إنجازه والتحدث به ، أما التلفظ فهو ما في طور الإنجاز "[٣] .

فكلّ ملفوظ + موقف تواصلي = الخطاب ، والخطاب مرحلة أولى لتكوين النص تليها عملية الكتابة ، فكلّ خطاب + كتابة = النص .

الفرق بين الخطاب والنص :

هناك فروق ملموسة بين الخطاب والنص تتمثل فيما يأتي :

١- يفترض الخطاب وجود المتلقي لحظة إحداثه ، بينما يتوجه النص

---

(١) محمد حماسة عبد اللطيف : الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر ، ص٣٧.

(٢) بشير إبرير : مرجع سابق ص ١٩.

(٣) المرجع السابق ص ١٩.

إلى متلقٍ مؤجلٍ يتلقاه عن طريق القراءة .

٢- الخطاب مرتبطٌ بلحظة إحداثه ؛ فلا يتجاوز سامعه إلى غيره والنص يقرأ في كل زمان ومكان ؛ لكونه نظامًا خطيًّا يدوم بالكتابة .

٣- الخطاب نشاط تواصلي تنتجه اللغة المنطوقة مشافهة بين المتكلم والمخاطب ، والنص مدونٌ أنتجته الكتابة.

وهناك من لا يفرق بين الخطاب والنص ، ويجعل النص استراتيجية تواصلية عامة شاملة لمصطلحات الملفوظ ، والتلفظ ، والخطاب[١] .

*****

***

*

---

(١) ينظر : المرجع السابق ص ٢٨.

المبحث الأول :

السبك ووسائله في نحو الجملة

في هذا المبحث تناول دقيق يلم شتات السبك ومفهومه لدى نحويي الجملة ؛ فيُدني الشَّموسَ منه إلى القارئ العربي ، ويجتذب إليه الجَمُوح ، ويُخْرِج وسائل السبك في صورة مَرضية ، ويُجلّي وجوده بلا سابكٍ يقتضيه في العربية .

وذلك التناول للسبك مفقود ؛ فلم أر من رفع لواءه من الباحثين في نحو الجملة ، ولا مَنْ أشار إليه من النصيين عند تناول معايير النص .

وهو أمنيةٌ طال احتباسها في طويتي الوامقة للغة الضاد ، حتى خرجت في هذين المطلبين :

المطلب الأول : دلالة السبك

السبك مصطلح قديم حديث ، لكنَّ دلالته في نحو الجملة مختلفة عن دلالته في نحو النص ، وقبل أن نحدد معناه في هذا أو ذاك لا بد لنا من الكشف عن معناه عند أئمة اللغة ، وإدراك فحواه .

لقد جاء السَّبْكُ في اللغة بمعنى : إذابة الشيء وإفراغه في قالبٍ ، قال الخليل : " السَّبْكُ : تَسبيكُ السَّبِيكةِ من الذَّهبِ والفضةِ ، تُذَابُ فَتُفْرَغُ فِي مِسْبَكَةٍ من حديدٍ كَأَنَّهَا شِقّ قَصَبَةٍ "[1] .

الفعل متعدٍّ ، تقول : سَبَكَ عليٌّ المَعْدنَ ، وسَبَكْتُ الفضَّةَ ، والمصدر السَّبْكُ ، وَالشَّيْءُ سَبِيكٌ وَمَسْبُوكٌ ، والجمع سَبَائِكُ[2] .

والصلة وثيقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للكلمة ، وهذا ما يكشفه لنا الوقوف على فحواها وإدراك معناها لدى نحويي الجملة .

لقد أطلقها هؤلاء النحويون في كتبهم ، وأرادوا بها أحد معنيين ، ولكلٍّ معنًى منهما وسائله :

المعنى الأول : تأويل الموصولات الحرفية مع صلتها بمصدرٍ ،

وهذه الموصولات ستة ، هي : (أنَّ ، وأنْ ، وما ، ولو ، وكي ، والذي)، "

---

(1) العين ٣١٧/٥ (س ب ك).

(2) ينظر : ابن دريد : جمهرة اللغة (س ب ك) .

تقوم بصلاتها مقام مصادر "[١] ، وتُعَدّ وسائل السَّبْك في هذا المعنى ، وسأعرض كلَّ وسيلةٍ منها على استقلالٍ ، مع ذكر ضابطها ، وبعض الشواهد الموضحة .

السابك الأول : (أنَّ)

ضابطها : (أَنَّ) المفتوحة الهمزة المشددة النون التي تنسخ الجملة الاسمية ؛ فتنصب المبتدأ ، ويُسَمَّى اسمِها ، وترفع الخبر ، ويُسَمَّى خبرها ، وتؤكد مضمون الجملة ، ولا توصل (أَنَّ) إلا بها ، ويُؤَوَّل المصدرُ منها ومن لفظِ خبرِها إنْ كان مشتقًّا ، ومن لفظِ الكونِ المقدرِ أو الاستقرار إنْ كان الخبرُ ظرفًا أو جارًّا ومجرورًا ، ومن لفظِ الكونِ المقدرِ إنْ كان الخبرُ اسمًا جامدًا[٢] ؛ فتقول في قول الله ﷻ : ﴿فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفُ الدُّخَانُ الْجَاثِيَةُ الْأَحْقَافُ مُحَمَّدٌ الْفَتْحُ﴾[٣] : إنَّ المصدرَ هو الإنزال ، والمعنى : أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ إنْزَالُنَا ، وتقول في قوله ﷻ : ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾[٤]: إنَّ المصدرَ هو القيام ، والمعنى : إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ قيامَكَ ... ، وتقول في قول النابغة الذبياني : [من الطويل]

---

(١) ابن مالك : شرح التسهيل ١/٢٢٣.

(٢) ينظر : السيوطي : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ١/٥٠٠.

(٣) سورة العنكبوت – من الآية : ٥١.

(٤) سورة المزمل – من الآية : ٢٠.

أتاني أبَيْتَ اللَّعنَ أنَّكَ لِمتَني ∴ وَتِلكَ الَّتي أهتَمُّ مِنها وَأنصَبُ[1]

إنَّ المصدرَ هو اللوم ، والمعنى : أَتاني – أَبَيْتَ اللَعنَ – لومُكَ إياي .

وتقول في قوله ﷻ : ﴿ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ ﴾[2] : إنَّ المصدرَ هو الكَذِب ، والمعنى : وتجعلون رزقَكم كَذِبَكُمْ ، وتقول في (أسعدني أَنَّكم نَجَحْتُمْ ، وبلغني أنَّكم تَنْجَحُونَ ، وسَرَّني أَنَّكم نَاجِحُونَ) : إنَّ المصدرَ هو النجاحُ ، والمعنى : أسعدني نجاحُكم ، وبلغني نجاحُكم، وسَرَّني نجاحُكم .

وتقول في (أسعدني أنَّكم في الجامعة ، وأَوَدُّ أَنَّكم أمامَ الكعبة) : إنَّ المصدرَ هو الاستقرارُ أو الكونُ ؛ لأنَّ الخبرَ في الحقيقةِ هو متعلقُ الجارِ والمجرورِ والظرفِ ، والمعنى : أسعدني استقرارُكم أو كونُكم في الجامعة ، وأَوَدُّ استقرارَكم أو كونَكم أمام الكعبة ، وتقول في قول النابغة الذبياني : [من الطويل]

ألم تَرَ أنّ اللهَ أعْطاكَ سَوْرَةً ∴ تَرى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ

بأنَّكَ شَمْسٌ والملوكُ كَواكِبٌ ∴ إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهُنَّ كوكَبُ(٣)

إنَّ المصدرَ في البيت الأول هو الإعطاء ، والمعنى : ألم تَرَ إعطاءَ الله إيَّاك سَوْرَةً ، وفي البيت الثاني هو الكون ؛ لأنَّ الخبر اسم جامدٌ ،

---

(١) البيت في ديوان الشاعر ص٧٢.

(٢) سورة الواقعة – الآية : ٨٢.

(٣) البيت في ديوان الشاعر ص٧٣، ٧٤.

والمعنى : بكونِكَ شمسًا ... ، ومثله قولك : (سَرَّني أَنَّكم أُسُودٌ) ، المصدر فيه هو : الكونُ ، والمعنى : سَرَّني كونُكم أُسُودًا .

السابك الثاني : (أنْ)

ضابطها : (أَنْ) بفتح الهمزة وسكون النون ، توصل بالجملة الفعلية ، التي فعلُها متصرِّفٌ ، سواء أكان ماضيًا ، أم مضارعًا ، أم أمرًا ، وتسمى بـ(أَنِ) المصدرية ، ويُؤَوَّل المصدر منها ومن الفعلِ بعدها ؛ فتقول في قوله – تعالى –: ﴿ الْخَائِنَةَ الْأَعْقَلِ مُحَمَّدٌ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ ﴾[1]: إنَّ المصدرَ المؤول هو الْمَنُّ ، والمعنى : لولا مَنُّ اللهِ علينا ... ، وتقولُ في قوله d : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ ﴾[2]: إنَّ المصدرَ المؤول هو الإيقاعُ ، والمعنى : إنما يُريدُ الشيطانُ إيقاعَ العداوةِ والبغضاءِ بينكم ، وتقولُ في قوله e ﴿ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ ﴾[3]: إنَّ المصدرَ المؤول هو الصَّوْمُ ، والمعنى صَوْمُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ، وتقولُ في حكايةِ سِيبَوَيْهِ عن العربِ (كتبتُ إليه بأنْ قُمْ) : إنَّ المصدرَ المؤول هو القيامُ ، والمعنى : كتبتُ إليه بالقيام .

---

(١) سورة القصص – من الآية : ٨٢

(٢) سورة المائدة – من الآية : ٩١.

(٣) سورة البقرة – من الآية : ١٨٤.

السابك الثالث : (ما)

ضابطها : (ما) المصدرية ، توصل بالجملة الفعلية ذات الفعل المتصرِّفِ، بشرط أن يكون ماضيًا أو مضارعًا ، وبالجملة الاسمية ، ويُؤَوَّل المصدرُ منها ومن الفعلِ ، أو الجملة الاسمية بعدها ؛ فتقول في قوله – عزَّ من قائلٍ –: ﴿الْفُرْقَانَ الشُّعَرَاءَ النَّمْلَ الْقَصَصَ الْعَنكَبُوتَ الرُّومَ لُقْمَانَ السَّجْدَةَ الْأَحْزَابَ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ﴾[1] : إنَّ المصدرَ المؤول هو الإيمانُ ، والمعنى : وإذا قيل لهم آمنوا كإيمانِ الناسِ قالوا أنؤمن كإيمانِ السفهاءِ ، وتقول في قوله ﷻ : ﴿اللَّيْلَ الضُّحَى الشَّرْحَ التِّينَ الْعَلَقَ الْقَدْرَ الْبَيِّنَةَ الزَّلْزَلَةَ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةَ التَّكَاثُرَ الْعَصْرَ الْهُمَزَةَ﴾[2] : إنَّ المصدرَ المؤول هو النِّسْيَانُ ، والمعنى : بِنِسْيَانِهِمْ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وتقولُ في قوله ﷻ : ﴿يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرَ﴾[3]: إنَّ المصدرَ المؤول هو القول ، والباء بمعنى (في) ، والمعنى : فقد كذَّبُوكم في قولكم ، وقولكم بمعنى مقولكم[4] ، وتقول في : (عجبتُ مِمَّا تأكلُ الخبزَ) : إنَّ المصدرَ المؤول هو الأكلُ ، والمعنى : عجبتُ من أَكْلك الخبزَ .

---

(1) سورة البقرة – من الآية : ١٣.

(2) سورة ص – من الآية : ٢٦.

(3) سورة الفرقان – من الآية : ١٩.

(4) فالآية الكريمة شاهدٌ للْقَاعِدَة السَّابِعَة التي قرَّرها ابن هشامٍ في المغني ، في الباب الثامن منه ، وهي : أنَّ اللَّفْظ قد يكون على تَقْدِيرٍ ، وَذَلِكَ الْمُقدَّرُ على تَقْدِير آخر . ينظر : مغني اللبيب٦/٦٩٥.

وتكون (ما) مصدرية ظرفية في نحو قولك : (لا أَصْحَبُكَ مَا دُمْتَ منحرفًا ، ولا أُجالسُك ما عليٌّ جليسُك) ، فالمصدرَ المؤول هو الْمُدَّةُ ، والمعنى : لا أَصْحَبُكَ مُدَّةَ دوامك منحرفًا ، ولا أُجالسُك مُدَّةَ مجالستِكَ عليًّا ، وتقول في قول الشاعر : [من الكامل]

واصِلْ خَلِيلَكَ ما التَّوَاصلُ مُمْكِنٌ ∴ فَلأنتَ أوْ هُوَ عَنْ قريبٍ ذاهبُ(١)

إنَّ المصدرَ المؤول هو الْمُدَّةُ ، والمعنى : واصِلْ خليلك مدةَ إمكانِ التواصلِ .

السابك الرابع : (لو)

ضابطها : (لَوِ) المصدرية ، توصل بالجملة الفعلية التي فعلُها متصرّفٌ غير أمرٍ ، ويُؤَوَّل المصدر منها ومن الفعلِ الماضي أو المضارعِ بعدها ؛ فتقول في قولِ قُتَيْلةَ بنتِ النَّضْرِ بن الحارث تُخاطبُ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – بعد أنْ قتل أباها الذي كان يُؤذيه إيذاءً شديدًا : [من الكامل]

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ∴ مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ(٢)

إنَّ المصدرَ المؤول هو المَنُّ ، والمعنى : ما كان ضرَّك مَنُّكَ ، وتقولُ في

---

(١) البيت في شرح التسهيل ٢٢٧/١، وشرح الكافية الشافية ٣٠٦/١.

(٢) البيت في شرح التسهيل ٢٢٨/١، وشرح الكافية الشافية ٣٠٤/١، والتصريح ٤١٦/٢.

قولِ اللهِ – جلَّ شأنه –: ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1]: إنَّ المصدرَ المؤول من (لو والفعل) هو التعميرُ ، والمعنى : يودُّ أحدُهم تعميرَ ألفِ سنةٍ، وتقولُ في قولِه ﷺ : ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ ﴾[2]: إنَّ المصدرَ المؤول من (لو والفعل) هو الغفلة ، والمعنى : ودَّ الذين كفروا غَفْلَتَكُم عن أسلحتكم وأمتعتكم .

السابك الخامس : (كَيْ)

ضابطها : (كَي) الناصبة للمضارع ، وهي المقرونة بلام التعليل لفظًا ، نحو : جئتُ لكي أراك ، أو المقرونة بها تقديرًا ، نحو : جئتُ كي أراك ، ويُؤَوَّل المصدر منها ومن الفعلِ المضارعِ المنصوبِ بها ؛ فتقولُ في قوله: ﴿ فَاطِرِ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٓ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ ﴾[3]: إنَّ المصدرَ المؤول من (كي والفعل) هو الأَسَى ، والمعنى: لعدمِ أَسَاكم على ما فاتكم وعدم فرحكم بما آتاكم ، وتقولُ في قولِه ﷺ : ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ

---

(1) سورة البقرة – من الآية : ٩٦.

(2) سورة النساء – من الآية : ١٠٢.

(3) سورة الحديد – الآيتان : ٢٢، ٢٣.

﴿ إِلَّا يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾[١] : إنَّ المصدرَ المؤول من (كي والفعل) هو الْكَوْنُ والمعنى : زَوَّجْنَاكَهَا لِعَدَمِ كَوْنِ حَرَجٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ... .

السابك السادس : (الذي)

ضابطها : (الَّذِي) مصدرية ما اقتضى سياق الكلام ذلك ، ومجيء (الذي) موصولاً حرفيًّا وَجْهٌ حكاه أبو علي الفارسي عن يونس بن حبيب ، فيُؤَوَّل المصدر منها ومن الفعل الذي بعدها ، ودليلهم قوله ﴿ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾[٢] ، فالمصدر المؤول من (الذي والفعل) هو الْخَوْضُ والمعنى : وَخُضْتُمْ كَخَوْضِهِم .

وسبب ذلك عندهما : أنَّ (الذي) في الآية مفردٌ ، وما بعده جمعٌ ، فلو كان موصولاً اسميًّا ، لقيل : كالَّذِي خَاضَ ، أو لقيل : كالَّذِينَ خَاضُوا[٣] .

السبك بلا سابك

يُبيِّن ذلك المسلك مدى تقدير العرب للمعنى ، ونزولها على مقتضاه ، وإن عجز اللفظ بغياب الوسائل ، وتخلُّف الآليات ؛ فلقد اقتضى الإعراب

---

(١) سورة الأحزاب – من الآية : ٣٧.

(٢) سورة التوبة – من الآية : ٩٦.

(٣) ينظر : ابن مالك : مرجع سابق١/٢٢٢، ٢٢٣، وشرح الكافية الشافية ١/٣٠٢، وابن عقيل : شرح ألفية ابن مالك١/١٣٨، ١٣٩، ١٤٠.

والمعنى تأويل الفعل بالمصدر بلا سابك في اللفظ والتقدير ، وهذا واقع في ثلاثة مواضع[١] :

الموضع الأول : في باب التسوية ، بعد الهمزة التي تقع بعد كلمة (سواء) ، ويلي الهمزة جملتان ، ثانيتهما مصدرة بكلمة (أم) الخاصة بتلك الهمزة ، كما في قوله ﷻ : ﴿ ﴾[٢]، وقوله – جل شأنه –: ﴿التِّينِ العَلَقِ القَلَمِ البَيِّنَةِ الزَّلزَلَةِ العَادِيَاتِ القَارِعَةِ التَّكَاثُرِ العَصرِ ﴾[٣]، وقوله ﷺ : ﴿الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ ﴾[٤]، والسبك من دون وجود حرف مصدري مطرد في باب التسوية ، بل قال الصبان : " باب التسوية مما لا يحتاج إلى سابك "[٥] ، والتقدير في الآيات : جَزَعُنَا وصَبْرُنَا سواءٌ علينا ، ووَعْظُكَ وعدَمُهُ سواءٌ علينا ، وإنذارُكَ وعَدَمُهُ سواءٌ عليهم . ومثل هذا في باب الابتداء معدودٌ " من الإخبارِ باعتبار المعنى والمُخْبَر عنه في اللفظ غير اسم "[٦] ، ونحو تلك الشواهد من الجمل الاستفهامية المقصود بها التسوية " الخبر فيها لازم التقديم ، وذلك أنَّ المعنى : سواءٌ عليهم الإنذارُ وعدمُهُ ، فلو قدّم (أأنذرتَهم) لتوهم السامع أنَّ

---

(١) ينظر : مغني اللبيب ٥/٢٤٢، ٢٤٣، والتصريح ١/١٩٨، ١٩٠.

(٢) سورة إبراهيم – من الآية : ٢١.

(٣) سورة الشعراء – الآية : ١٣٦.

(٤) سورة يس – الآية : ١٠.

(٥) حاشية الصبان ٢/١٦٢.

(٦) ابن مالك : شرح التسهيل ١/٢٦٧.

المتكلم مستفهمٌ حقيقةً ، وذلك مأمونٌ بتقديم الخبر ، فكان ملتزمًا "[١] ، وصَحَّ الإخبار بـ(سواء) عما هو في حكم المثنى ؛ " لأنَّهُ في الأصل مصدرٌ بمعنى الاستواء ، والمصدر يقع على القليل والكثير "[٢] ، فالجزع وما عطف عليه ، والوعظ وما عطف عليه ، والإنذارُ وما عطف عليه – مبتدآتٌ في المعنى ، وسواءٌ مصدرٌ في معنى اسم الفاعل ، والتقدير : (مُسْتَوِيانِ) ، والمصدر لا يثنَّى ولا يُجْمَع ، بل يُعبَّر بلفظةِ الواحد عن التثنية والجمع ، فيقال : هذا عَدلٌ ، وهذان عدلٌ ، وهؤلاء عدلٌ ، فكذلك هاهنا[٣] .

الموضع الثاني : في إضافة ظروف الزمان إلى الجملة الفعلية ، والمراد إضافتها للمصدر المفهوم من الفعل المذكور ، فـ " الفعل إذا أضيف إليه كان لمجرد الحدث فهو اسم حكمًا "[٤] ، نحو : جئتك حين ركِبَ العميدُ السيارةَ ، والتقدير : حين ركوبِهِ ، ونحو قوله – تعالى –: ﴿ النَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾[٥]، والتقدير : يومُ نفْعِ الصادقين صِدْقُهُم ، وقوله ﷻ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾[٦]، والتقدير : ويَوْمَ تَسْيِيرِنَا الجبالَ ورؤيتِكَ الأرضَ بارزةً ،

---

(١) المرجع السابق ١/٣٠١.

(٢) خالد الأزهري : التصريح ١/١٨٩.

(٣) ينظر : ابن يعيش : شرح المفصل ١/٢٣٦.

(٤) الصبان : مرجع سابق ١/٢٥٦.

(٥) سورة المائدة – من الآية : ١١٩.

(٦) سورة الكهف – من الآية : ٤٧.

وقولـه d : ﴿ٱلْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ﴾[1]، والتقـدير : هـذا يـومُ عَـدَمِ نطقِهـم ، وقولـه e : ﴿التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ﴾[2] ، والتقدير : يومَ قيامِ الحسابِ ، وهذا مطرد .

والأصـحُّ أنَّ الإضـافة " إلـى الجملـة نفسِـها ، لا إلـى الفعـل وحـدَه ، فأضافوا اسم الزمان إلى الجملة من الفعل والفاعل ، كما أضافوه إلى الجملة من المبتدأ والخبر ، فقالوا : هذا يوم يقومُ زيدٌ ، كما قالوا : رأيتُكَ يومَ زيدٌ أميرٌ ، وزمنَ أبوك غائبٌ . وتكون الإضافةُ في اللفظ إلى الجملة ، والمرادُ المصدرُ . فإذا قلت : هذا يوم يقومُ زيدٌ ، أو يوم زيدٌ قائمٌ ، فإنَّما تريد : يوم قيام زيدٍ ... ويدل على ذلك أنّ موضعَ الجملة خفضٌ بلا خلافٍ ... فالإضافةُ إلى الجملة ، والمرادُ مدلولُها الذي هو الحدث "[3] .

الموضع الثالث : إذا كان الفعلُ قائمًا مقام المصدر مرادًا به مجرد الدلالة على الحدث ، فيؤول إليه في التقدير ، مثل تقدير (تَسْمَعُ) قَائِمًا مقَام السَّمَاع في قول العرب : (تَسْمَعُ بالمعيديِّ خيرٌ من أنْ تَرَاهُ)[4] برفع (تَسْمَعُ)

---

(1) سورة المرسلات – الآية : ٣٥.

(2) سورة إبراهيم – الآية : ٤١.

(3) ابن يعيش : مرجع سابق ٢/١٨٠، ١٨١.

(4) لهذا المثل أربع روايات ، بدأ الميداني بالمذكورة شاهدًا ، والثانية (لأَنْ تَسْمَعَ)، والثالثة (أنْ تَسْمَعَ) ، ويروى (تسمع بالمعيدي لا أن تراه) . يُضْرَب لمن خَبَرُه خَيْرٌ من مَرْآه ، ودخلت الباء على (المعيدي) على تقدير : تُحَدَّث به خير . ينظر : أبو الفضل الميداني : مجمع الأمثال ١/١٢٩.

؛ إذ الحاجة إلى المصدرية ملحةٌ مراعاةً لمعنى الكلام ، فوجب اللجوء إليها ؛ لأنَّهُ لا يسند إلا إلى الاسم ، فيكون الكلام في المثال مبتدأً وخبرًا ، والتقدير : سَمَاعُكَ بالمعيديِّ خيرٌ من رؤيتِك له ، ومثل تقدير (يُرِيكُم) قائمًا مقام (الإراءة) في قوله – عز وجل –: ﴿ ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن ﴾[1] ؛ إذ الحاجة إلى المصدرية ضروريةٌ يقتضيها سياق الآيات السابقة على تلك الآية واللاحقة لها ، فوجب اللجوء إليها ؛ لأنَّهُ لا يُسْنَد إلا إلى الاسم ، فيكون الكلام في الآية مبتدأً وخبرًا ، والآية معطوفة على ما سبقها ، والتقدير : ومن آياتِهِ إراءتُهُ لكم البرقَ خوفًا وطمعًا وإنزالُهُ من السماء ماءً فإحياؤُهُ به الأرضَ بعد موتها ، وتأمل الآيات ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى : ﴿ ﴾

---

[1] سورة الروم – من الآية : ٢٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ[1].

ومثل تقدير (حَنَّتْ) قائمًا مقام (الحنين) في قول الشاعر : [من الكامل]

حَنَّتْ نَوَارُ وَلاَتَ هَنَّا حَنَّتِ ∴ وَبَدَا الذِي كَانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ (٢)

فـ(لاتَ) حرف نفي ، مهملة لا اسم لها ولا خبر ، و(هَنَّا) في موضع نصب على الظرفية ؛ لأنَّهُ اسم إشارة إلى الزمان ، متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و(حَنَّتْ) فعلٌ موضوع موضع المصدر مراد به الدلالة على مجرد الحدث ، فموضعه رفع ؛ لأنَّهُ مبتدأ مؤخر ، والتقدير : حَنَّتْ نَوَارُ ولاتَ في هذا الوقتِ حَنِينٌ . قال ابن مالك : " وهذا أحد المواضع المخبر فيها عن الفعل مؤولاً بالمصدر "[3] .

والأصحُّ أنَّ الاسم المرفوع بعد (لولا) الامتناعية مبتدأ ملتزم حذف خبره ، فإذا وجدنا بعد (لولا) فعلاً مرفوعًا ، وقد علمنا " أنَّ موضعه لا يصلح للفعل ، وجب التحيُّل في تخريج ما وقع بخلاف ذلك " [4]، ومما ورد قول الشاعر : [من الوافر]

---

(١) سورة الروم – الآيات : ٢٠ – ٢٥.

(٢) البيت في شرح المفصل لابن يعيش٢/١٨٢، وشرح التسهيل١/٢٥١، وشرح الأشموني مع حاشية الصبان١/٢٥٦.

(٣) شرح التسهيل١/٢٥١.

(٤) ابن مالك : شرح التسهيل١/٢٨٤.

ولولا يَحْسَبُونَ الحِلْمَ جَهْلاً ∴ لَمَا عَدِمَ المسيئون احتمالي (١)

فالفعل (يَحْسَبُونَ) بعد (لولا) مرفوع ، ولا يليها إلا المبتدأ ؛ إذ الموضع موضع مبتدأ ، فدعت الحاجة إلى السبك من دون سابك ، والتقدير : لولا حسبانُ الحِلْمِ جهلاً ...

وقول أبي طالب حين قال له النبي ﷺ: (قُلْ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) : " لَوْلا تُعَيِّرُنِي قُرَيْشٌ ، يَقُولُونَ : إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ ، لأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ "(٢) .

فجاء الفعل (تُعَيِّرُنِي) بعد (لَوْلا) مرفوعًا ، ولا يَقع بعْدهَا إلا الاسْم مرفوعًا بالابتداء ؛ فالحاجة إلى المصدرية ملحةٌ ؛ انتصارًا للضوابط النحوية، فوجب اللجوء إليها مع عدم وجود سابكٍ ، والتقدير : لولا تعييرُ قريشٍ ...

ومن المقرر المشهور أنَّ الفاعل لا يكون جملةً ، وأنَّ الفعل لا يُسنَد إلا إلى اسم مَحْضٍ ، فإن جاء شيء على خلاف ذلك فهو داخل في ذلك الموضع ، من السبك بلا سابك ؛ استجابة للضابط المشهور ، ولداعي المعنى ، وهو أولى من تكلف التأويل .

ومن الوارد قول الشاعر : [من الطويل]

---

(١) البيت في شرح التسهيل ١/٢٨٤.

(٢) عبد الملك بن بشران البغدادي : أمالي ابن بشران ص١٧٤، وأبو البقاء العكبري : إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث١٣٧.

وما راعَنِي إلا يَسِيرُ بشُرْطَةٍ ∴ وعَهْدِي به قَيْنًا يَفُشُّ بِكِيرِ(١)

فجعل (يَسِيرُ) فاعلاً لـ(راع) ، وهو فعل مضارعٌ مرفوع ، وقول جَمِيل ابن معمر : [من الطويل]

جَزِعْتُ حِذارَ البَيْنِ يومَ تَحَمَّلُوا ∴ وحُقَّ لِمِثْلِي يا بُثَيْنَةُ يَجْزَعُ (٢)

فأسند (حُقَّ) إلى (يَجْزَعُ) ، وهو فعلٌ مضارع مرفوع ، والمراد في البيتين معنى الفِعْلَيْن ، وهو الحدث المجرد ، وليس الحدث والزمان معًا ، فالفعلان (راعَ ، وحُقَّ) مسندان إلى المصدر المنوي ، لا إلى الفعلين ، والتقدير : وما راعني إلا سَيْرُهُ ، وحُق لمثلي الجَزَعُ[٣]، " وأجاز هشام : يَسُرُّني تقومُ ، وينبغي أن يكون ذلك جائزًا عنده في الشعر لا في النثر . هذا أولى عندي من أن يكون يرتكبه من غير ضرورة "[٤] .

ومن شواهد هذا الموضع قول طَرَفة : [من الطويل]

ألا أيُّهذا الزَّاجِري أحْضُرُ الوَغَى ∴ وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أنتَ مُخْلِدي(٥)

---

(١) البيت في الخصائص٢/٤٣٦، وشرح التسهيل٤/٥٠.

(٢) البيت في الخصائص٢/٤٣٧، وشرح المفصل لابن يعيش٣/٦.

(٣) ينظر : ابن يعيش : مرجع سابق ٣/٥، ٦.

(٤) ابن جني : الخصائص٢/٤٣٧.

(٥) البيت في الكتاب٣/١٠٠، والمقتضب٢/٨٥، وشرح التسهيل٤/٥٠.

فـ(أَحْضُرُ) دال علـى مجـرد الحـدث ؛ لكونـه موضـوعًا موضـع المصـدر (حضور) ، ومعنـى الكـلام هو الـذي أحوج إلـى هذا ؛ لأنَّ الزاجر لطَرَفـة زجره عن شيء من أفعالـه ، فـ(عن) مقدرةٌ ، و(عن) من حروف الجر ، ولا تدخل علـى الأفعال ، وإنَّمـا تـدخل علـى الأسماء ، فأصل الكـلام : ألا أيُّهذا الزاجري عن حضور الوغى[١] .

ونخلص من ذلك إلى أنَّهُ إذا كان الفعل واقعًا مبتدأ ، أو فـاعلاً ، أو نائبًا عنـه ، أو نحـو ذلـك ، فهـو قـائمٌ مقـام المصـدر ، ودالٌّ علـى مجـرد الحـدث ، والداعي إلى تأويله بالمصدر مـع عدم وجود سابك مراعاة الضوابط النحويـة، والاستجابة لداعي المعنى .

وهذا الموضع قليل في كلام العرب[٢]، وليس السبك فيـه شـاذًّا ، كمـا زعم الشيخ خالد[٣] ؛ لأنَّ الاحتكام في ذلك كلـه للبنيـة العميقـة (المعنـى) المحددة لدلالـة الفعل ، وليس للبنية السطحية (اللفظ) فقط ، والتعويل علـى المسموع عن العرب ، " وبـــاب الحمـــل علـــى المعنـــى بَحْـــرٌ لا يُـــنْكَش[٤] ، ولا يُفْـــتَج[٥] ،

---

(١) ينظر : يوسف بن أبي سعيد السيرافي : شرح أبيات سيبويه٢/٦١.

(٢) ينظر : سيبويه : الكتاب ٣/٩٩، والمبرد : المقتضب٢/٨٤.

(٣) ينظر : خالد الأزهري : مرجع سابق ١/١٩٠.

(٤) يَقُولُونَ : هُوَ بَحْرٌ لا يُنْكَشُ ، كَمَا يَقُولُونَ : لا يُنْزَفُ . ينظر : ابن فارس : مقاييس اللغة (ن ك ش) .

(٥) قـولهم : بئـرٌ لا تُفْـتَجُ ، وفـلانٌ بحـرٌ لا يُفْـتَجُ ، أي: لا يُنْـزَح . ينظـر : الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية (ف ث ج) .

ولا يُؤْبَى[١] ، ولا يُغَرَّض[٢] ، ولا يُغَضْغَض[٣] . وقد رأينا وجهه ، ووكلنا الحال إلى قوَّة النظر وملاطفة التأوّل "[٤] ، " وهذا أسلوب يحسن الوقوف فيه عند السماع ، والبعد عن محاكاته "[٥] .

---

(١) يُقَالُ : فلانٌ بَحْر لا يُؤْبَى ، وَكَذَلِكَ كَلأٌ لا يُؤْبَى ، أَي : لا يَنْقَطِع مِنْ كَثْرَتِهِ . ينظر : ابن منظور : لسان العرب (أ ب ى) .

(٢) يقولون : فُلانٌ بَحْرٌ لا يُغَرَّضُ ، أَي : لا يُنْزَحُ . ينظر : الجوهري : مرجع سابق (غ ر ض) .

(٣) يقولون : فُلانٌ بَحْرٌ لا يُغَضْغَضُ وَلا يُغَضْغِضُ ، أَي : لا يُنْزَحُ . ينظر : ابن منظور : مرجع سابق (غ ض ض) .

(٤) ابن جني : مرجع سابق ٤٣٧/٢.

(٥) عباس حسن : النحو الوافي٦٠٦/١.

حذف السابك العامل وبقاء عمله

وسبك المصدر من الفعل المقدر قبله (أنْ) جائزٌ ؛ لأنَّ المضمر في قوة المذكور ، كما في قول العرب : (تَسْمَعَ بالمعيديِّ خيرٌ من أنْ تَرَاهُ) وفي قولهم : (مُرْهُ يَحْفِرَهَا) ، وقولهم : (خُذِ اللصَّ قَبْلَ يَأْخُذَكَ) .

ونصب (تَسْمَعَ) ، و(يَحْفِرَهَا) ، و(يَأْخُذَكَ) على إضمار (أنْ) في مثل ذلك شاذٌّ ، يُحفظ ولا يقاس عليه ؛ لأنَّ الحرف المصدري عاملٌ ضعيفٌ ، إذا حُذِفَ بطل عمله ، ومع هذا فقد بقي عمله بعد حذفه[١] .

والمصدر المؤول من (تَسْمَعَ) و(أنِ) المقدرة قبله يعرب مبتدأً ، والتقدير : سَمَاعُكَ بالمعيديِّ خيرٌ من رؤيتِك له ، والمصدر المؤول من (يَحْفُرَهَا) مجرور بالباء ، والتقدير : مُرْهُ بحَفْرِهَا ، والمصدر المؤول من (يَأْخُذَكَ) مجرور بالإضافة ، والتقدير : خُذِ اللصَّ قَبْلَ أَخْذِهِ لكَ .

---

(١) ينظر : ابن يعيش : مرجع سابق ٣/٥، ٦.

المعنى الثاني للسبك : بناء كلام من كلام آخر ،

والغرض منه التدريب على صياغة الكلام وفق الأحكام النحوية ، كما وضع التصريفيون مسائل التمرين للتدريب على صياغة الأبنية وفق القواعد التصريفية .

وهذا المعنى نراه في (باب الإخبار بالذي وفُرُوعِهِ – وهي التي ، واللذان ، واللتان ، والذين ، واللاتي – وبالألف واللام)[1]، " وهو ضربٌ من المبتدأ والخبر "[2] ، يسميه بعضهم في الصدر الأول : بَابَ السَّبْك ، وهي تسمية قديمة ، وهو بابٌ وَضَعَهُ النحويون للتدريب على صياغة الكلام وفق الأحكام النحوية ، وجائز في الجملتين : الاسمية والفعلية .

وسيلته :

الوسيلة إلى هذا السبك : أن تعمد إلى كلامٍ ما ، فتدخل الاسم الموصول على أوله واقعًا على معنى الاسم المخبر عنه ، ثم يعوض من ذلك الاسم ضميرًا مكانه على حسبه في الإعراب والإفراد ، والتثنية ، والجمع ، والتذكير والتأنيث ، ويكون عائدًا على ذلك الموصول المطابق له ، ثم يصير ذلك الاسم الذي كان مخبرًا عنه خبرًا عن الموصول ، وباقي الجملة صلة الموصول .

---

(١) الباء في العنوان بمعنى (عن) ، أو هي باء السببية ، وليست باء التعدية .

(٢) ابن السراج : الأصول في النحو ٢/٢٦١.

وبيان ذلك أنَّهُ إذا قيل لك: كيف تخبر بـ(خالد) المبتدأ من قولنا : (خالدٌ منطلقٌ) عن الذي ؟ فاعمد إلى ذلك الكلام الذي فيه (خالد) ، فاعمل فيه أربعة أعمال :

أحدها : أن تبتدئه باسم موصول مطابق لـ: (خالد) ، في إفراده وتذكيره ، وذلك الموصول المطابق لـ: (خالد) هو (الذي) الواقع في الابتداء .

العمل الثاني : أن تؤخر خالدًا إلى آخر التركيب ؛ لأنَّك تريد أن تجعله خبرًا عن الموصول .

العمل الثالث : أن ترفع خالدًا ، على أنَّهُ خبرٌ للذي .

العمل الرابع : أن تجعل في مكان خالدٍ الذي نقلته عنه ضميرًا مطابقًا له في معناه وفي إعرابه ، فتقول : الذي هو منطلقٌ خالدٌ ، فـ(الذي) مبتدأ ، ومن حيث كونه موصولاً ، يحتاج إلى صلة وعائد ، ومن حيث كونه مبتدأ ، يحتاج إلى خبر ، فجملة (هو منطلق) مبتدأ وخبر على الترتيب ، والجملة من المبتدأ والخبر صلة (الذي) لا محل لها ، والعائد منها إلى الموصول الضمير المرفوع على الابتداء الذي جعلته خلفًا عن خالد في إعرابه[١] .

وإذا قيل لك : كيف تخبر بـ(سعاد) المبتدأ من قولنا : (سعادُ ناجحةٌ) عن التي ؟ فقل : التي هي ناجحةٌ سعادُ .

وإذا قيل لك : كيف تخبر بـ(المحمدان) المبتدأ من قولنا : (المحمدان منطلقان) عن اللذين؟ فقل : اللذان هما منطلقان المحمدان .

---

(١) ينظر : المرادي : توضيح المقاصد والمسالك٣/١٣١١، وابن هشام : أوضح المسالك٤/٢١٥، وخالد الأزهري : مرجع سابق٢/٤٣٣، ٤٣٤.

وإذا قيل لك : كيف تخبر بـ(السعادان) المبتدأ من قولنا : (السعادان ناجحتان) عن اللتين ؟ فقل : اللتان هما ناجحتان السعادان .

وإذا قيل لك : كيف تخبر بـ(المحمدون) المبتدأ من قولنا : (المحمدون منطلقون) عن الذين؟ فقل : الذين هم منطلقون المحمدون.

وإذا قيل لك : كيف تخبر بـ(السعادات) المبتدأ من قولنا : (السعادات ناجحات) عن اللاتي ؟ فقل : اللاتي هنَّ ناجحاتٌ السعاداتُ.

وإذا قيل لك : كيف تخبر بـ(خالد) من قولك : (ضربتُ خالدًا) عن الذي ؟ قلت : الذي ضربتُهُ خالدٌ ، فصدَّرتَ الجملة بالذي مبتدأ ، وأخَّرت خالدًا ، فجعلتَهُ خبرًا عن الذي ، وجعلتَ ما بينهما صلة الذي ، وجعلتَ في موضع خالدٍ الذي أخرتَهُ ضميرًا عائدًا على الموصول .

ويجوز الإخبار عن الألف واللام في الجملة الفعلية خاصة بشرطين:

أحدهما : أن يكون الفعل الذي تُصاغ منه صلتها متصرفًا ؛ لأنَّ الفعل الجامد كـ(ليس) لا يجيء منه اسم فاعل ولا اسم مفعول .

والثاني : أن يكون الفعل موجبًا ، فإن كان منفيًّا لم يجز الإخبار ؛ لتعذر صوغ صلتها من المنفي .

ومثال ذلك قول العالم للمتعلم : اجعل (أل) الموصولة مبتدأً خبره خالدٌ من قولك : ضربتُ خالدًا ، فيقول : الضَّاربُهُ أنا خالدٌ ، ومن قولك: أكرمتُ خالدًا ، فيقول : المُكْرِمُهُ أنا خالدٌ[1] .

([1]) ينظر : الرضي : شرح الكافية٣/٣٩،٣١، والمرادي : مرجع =

وليس السبك أو الإخبار في هذا الباب أمرًا سطحيًّا – يقوم على تناول الألفاظ داخل جملةٍ على نحوٍ معينٍ ؛ للتمرين والتدريب على المسائل النحوية ، وتقوية ملكة الدارس على التصرف فيها والتطبيق عليها – لا صلة له بالبنية العميقة ، بل له أغراض أخرى يسعى إليها المتكلم العربي ، ويقصدها قصدًا ، وهي[١] :

أ- الاختصاص والقصر ، فإذا قال لك قائل : ركب عليٌّ الطائرةَ ، تقول ردًّا عليه : الذي ركب الطائرةَ خالدٌ ، ويُرَدُّ بهذا – أيضًا – على من قال : ركب عليٌّ وخالدٌ الطائرةَ ؛ لإفادة القصر، وإزالة الشك في الراكب .

ب- تقوية الحكم وتثبيته ؛ لأن في التعبير بالإخبار إسنادين : أحدهما إلى الضمير ، والثاني إلى الظاهر ، ولا شك أنَّ هذا أقوى مما فيه إسناد واحد .

ج- تشويق السامع إلى معرفة الخبر ؛ ليتمكن في ذهنه عند مجيئه خير تمكنٍ ، كقول أبي العلاء المعري : [من الخفيف]

والَّذِي حَارَتِ البَرِيَّةُ فِيهِ ∴ حَيَوانٌ مُسْتَحدَثٌ من جَمَادِ (٢)

وفي هذا دُرْبَة ذهنية ، وتمرين عقلي ، وتأصيلٌ لنظرة عربية في توليد

سابق٣/١٣١٦.

(١) ينظر : المرادي : مرجع سابق٣/١٣١١، وخالد الأزهري : مرجع سابق ٢/٤٣٣، ومحمد عبد العزيز النجار : ضياء السالك٤/٨٤.

(٢) البيت في شروح سقط الزند٣/١٠٠٤.

الجمل وتحويلها مع مراعاة الضوابط النحوية ، وصحة المعنى ؛ لأغراضٍ ما ، وهو سبقٌ عربيٌّ في مجال النحو التوليدي التحويلي لنظرية تشومسكي الحديثة في النحو التوليدي التحويلي ، التي قامت على أربعة أشياء :

أولها : التوليد ، ويريد به إنتاج المتكلم عددًا غير متناهٍ من الجمل التي لم يكن سمعها من قبل ، وتكون سليمة التركيب موافقة القياس .

وثانيها : التحويل ، وهو عملية نحوية تُغَيِّر ترتيب المكونات في داخل جملة ما ، وبوسعها حذف عناصر أو إضافتها أو استبدالها ، فتنشأ عن تلك الجملة جملٌ تتشابه معها في المعنى .

وثالثها : الكفاءة اللغوية ، وهو ما يكون عند المتكلم من أبناء اللغة من معرفة ذهنية بالأصوات والمعاني وقواعد النحو تمكنه من بناء الجمل .

ورابعها : الأداء اللغوي ، وهو عبارة عن الممارسة اللغوية الفعلية التي يقوم بها المتكلم في الحياة اليومية لخدمة أغراضه[١] .

وتتم عملية التحويل من خلال سلسلة من الاختيارات تقع من المتكلم ، كالتقديم والتأخير ، أو البناء للمعلوم والمجهول ، أو الإظهار والإضمار ، أو الزيادة أو النقص ، مع مراعاة طبيعة كل لغة ، فإذا أراد المتكلم إجراء عملية توليد وتحويل في اللغة الإنجليزية ، فيجب أن يراعي أنها لا تبدأ بالفعل ، وإنما تبدأ بالاسم[٢] .

---

(١) ينظر : رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ص١٨٨، ١٩١.

(٢) ينظر : صالح عبد الوهاب : نظرية النظم وأثرها في اللسانيات الحديثة ص٥١٣.

ومثال تلك النظرية قولك : العميدُ شَرَحَ الدرسَ ، فمن الممكن أن يحول إلى الصور الآتية :

أ-(الدرس شَرَحَهُ العميدُ) : فيها تحويل بتقديم الدرس ، وتأخير العميد ، وزيادة الضمير العائد إلى الدرس .

ب -(الدرس شُرِحَ) : فيها تحويل ببناء الفعل للمجهول ، وحذف الفاعل، وإنابة المفعول به منابه مع تغيير حكمه ، فهو عمدة بعد أن كان فضلة ، ومرفوع بعد أن كان منصوبًا ...

ج -(الدرس مشروحٌ) : فيها تحويل بالبناء للمجهول ؛ فاسم المفعول مصوغ من الفعل المبني للمجهول ، ويلزمه ما يلزمه .

د-(الذي شَرَحَ الدرسَ العميدُ) : فيها تحويل بتأخير العميد ليكون خبرًا ، وزيادة الاسم الموصول في صدر الجملة ليكون مبتدأً .

والصورة الأخيرة تشهد لما قررناه من سبق عربي منظم لتلك النظرية التوليدية التحويلية المعزوة لـ(تشومسكي)، بضوابط محددة ، وأغراض متنوعة ، فما أروع لغتنا ! وما أوفاها ! وما أبهاها ! وما أشدَّ تقصيرَ أبنائها في حقها عليهم ! وما أقبحَ هجومَ بعضهم عليها !

المبحث الثاني

السبك ووسائله في نحو النص

في ذلكم المبحث بيانٌ لهذا المصطلح ، وما يرادفه ، ولماذا تمَّ إيثاره على غيره ؟ ومفهومه عند علماء النص ، وتوضيحٌ لنوعيه ، ووسائله التي تحققه وتجسده ، فدونك مطلبين :

المطلب الأول : دلالة السبك

اختلفت الترجمة العربية للكلمة الإنجليزية (COHESION) ؛ فقد ترجمها أكثر الباحثين إلى (السبك)، وبعضهم إلى (التماسك)، وتُرْجِمَت إلى (الحبك)، وإلى (الربط اللفظي)، وإلى (الربط النحوي)، وإلى (الترابط القواعدي)، وإلى (الانسجام)، وإلى (الترابط)، وإلى (التضام)، وإلى (الربط)، وإلى (التناسق)[١] .

والمصطلح المناسب هو السبك ؛ للأسباب الآتية :

أولاً – استعمال بعض النحويين المتأخرين له ، كرضي الدين الاستراباذي ، فقد استعمله في باب الإخبار بالذي أو بالألف واللام[٢]، وذكره ابن هشام في باب الإخبار بالذي وفروعه وبالألف واللام[٣]، والشيخ خالد في باب المبتدأ

---

(١) ينظر: أحمد حسين حيال : السبك النصي في القرآن الكريم : دراسة تطبيقية في سورة الأنعام ص٤٧، ٤٨.

(٢) ينظر : شرح الكافية٣/٣١.

(٣) ينظر : أوضح المسالك٤/٢١٥.

والخبر [١] ، وغيرهم .

ثانيًا – أنَّهُ هو الوارد في تراثنا الأدبي والبلاغي واضح الدلالة على لسان الجاحظ ، في قوله : " وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنَّهُ قد أُفْرِغ إفراغًا واحدًا ، وسُبِكَ سبكًا واحدًا ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان "[٢]، وعلى لسان أبي هلال العسكري في قوله : " فهذه الأبيات جيدة السبك حسنة الرصف "[٣]، وغيرهما .

وهو أحد المعايير السبعة التي يقوم عليها نحو النص ، والتي تكفل للنص صحة كونه نصًّا . " يهتم بظاهر النص ، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي "[٤]، و" يشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص ، كبناء العبارات والجمل ، واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة "[٥] .

([١]) ينظر : التصريح١/١٩٠، ٢/٤٣٣.

([٢]) البيان والتبيين١/٧٥.

([٣]) الصناعتين ص١٦٩.

([٤]) العيد علاوي : التماسك النحوي آلياته وأشكاله ، ص١٢٦.

([٥]) دي بوجراند ، ولفغانغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص ، ص١١.

المطلب الثاني : وسائل السبك

السَّبْك عند علماء النص نوعان : السبك النحوي ، والسبك المعجمي ، ولكل منهما وسائله .

أولاً – وسائل السبك النحوي (Grammatical Cohesion):

حدَّدَ علماء النص السبك النحوي بتلك الوسائل : الإحالة المتبادلة والاستبدال ، والحذف ، والربط ، وهاك تفصيل القول فيها من حيث النظرية والتطبيق على النحو الآتي :

الوسيلة الأولى : الإحالة المتبادلة (Co-Reference)

وهي وسيلة من وسائل ربط أجزاء النص وتماسكها ، " تخضع لقيد دلالي ، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه "[١]، ويراد بها " قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب ؛ فشرط وجودها هو النص ، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما ، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر "[٢] .

---

(١) محمد خطابي : لسانيات النص ص١٧.

(٢) الأزهر الزنَّاد : نسيج النص ص١١٨.

عناصر الإحالة :

لكي تتم عملية الإحالة في النص لا بد من وجود تللك العناصر :

١-المتكلم أو الكاتب الصانع للنص ، وبقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد .

٢-اللفظ المحيل ، وينبغي أن يتجسد إما ظاهرًا أو مقدرًا ، كالضمير أو الإشارة ، وهو الذي يحولنا من اتجاه إلي اتجاه داخل النص وخارجه .

٣-المحال إليه ، وهو موجود ، إما داخل النص من كلمات وعبارات ، أو خارجه فيدل عليه السياق ، ويرشد إليه المقام .

٤-العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه ، فالواجب أن يكون التطابق الدلالي مجسدًا بين اللفظ المحيل والمحال إليه[١] .

أقسامها :

الإحالة في النصوص قسمان :

إحالة خارجية (Exophora) وتسمى المقامية ، وفيها يحيل عنصر لغوي في النص إلى شيء غير لغوي خارج النص ، يدركه كلٌّ من منتج النص ومتلقيه من سياق المقام ، كـ: أنْ يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم ؛ فيترتب على ذلك ارتباط عنصر لغوي إحالي بعنصر غير لغوي هو ذات المتكلم .

([١]) ينظر : صبحي الفقي : مرجع سابق ص١٦، وأحمد عفيفي : نحو النص ، ص ١١٧، ١١٨.

وإحالة داخلية (Endophora) ، تقع داخل النص ، وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في المكتوب سابقة كانت أو لاحقة ، وتسمى النصية ، وهي ضربان :

١- إحالة قبلية أو الإحالة بالعودة (Anaphora) ، وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه .

٢- إحالة بعدية أو الإحالة على اللاحق (Cataphora) ، وفيها يحيل العنصر المتقدم إلى عنصر آخر مذكور بعده في النص ولاحق عليه ، كضمير الشأن في العربية[١]، في نحو قوله d :﴿ هُوَ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ ﴾[٢]، وقوله f : ﴿ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾[٣] فضمير الشأن في الجملتين يحيل إلى جملة بعده ، وهي التي تفسره .

وتنقسم الإحالة باعتبار المدى الإحالي الذي يفصل بين العنصرين المحيل والمحال إليه – قسمين :

أحدهما : إحالة ذات مدى قريب ، وتكون على مستوى الجملة الواحدة ، نرى فيها العنصر المحيل والمحال إليه ، ومثالها : الضمير الواقع مضافًا إليه في التوكيد المعنوي ؛ فهو عائد على المؤكَّد ، نحو قولك : زارني العميدُ نفسُهُ

---

(١) ينظر : الأزهر الزنَّاد : مرجع سابق ص١١٨، ١١٩ ، وصبحي الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص١٦.

(٢) سورة الأنعام – من الآية ٢١.

(٣) سورة يوسف – من الآية ٨٧.

، قرأتُ كتابَ سيبويه كُلَّهُ .

والثاني : إحالة ذات مدى بعيد ، وتكون بين الجمل المتصلة أو الجمل المتباعدة في فضاء النص .

والعناصر اللغوية باعتبار وظيفتها الإحالية نوعان :

١-العنصر الإحالي ، وهو كلُّ مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره .

٢-العنصر الإشاري ، وهو كلُّ مكون لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره[١] .

وسائلها :

تحدد الإحالة في النص مجموعة من الوسائل ، تتمثل فيما يأتي :

١- شخصية (Personal) ، وتمثلها الضمائر (أنا ، ونحن ، وأنت ، وأنتم ، وهو ، وهم ... ، وياء المتكلم ، وكاف الخطاب ...) .

ومن أمثلة الإحالة بالضمير قول جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ✂✉ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ جُمْعَةٍ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَبِكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ تُرْزَقُوا ، وَتُنْصَرُوا ،

([١]) الأزهر الزنَّاد : مرجع سابق ص١٢٧، ١٣١.

وَتُجْبَرُوا ... »[١].

فضمائر الجمع الموجودة في تلك الخطبة عناصر لغوية محيلة ، وهي واو الجماعة في (تُوبُوا – تَمُوتُوا – بَادِرُوا – تُشْغَلُوا – صِلُوا – تُرْزَقُوا – تُنْصَرُوا – تُجْبَرُوا) ، وكاف الخطاب التي تليها ميم الجمع في (بَيْنَكُمْ – رَبِّكُمْ – ذِكْرِكُمْ) ، والمحال إليه عنصر لغوي واحد داخل النص ، وهو (الناس) ، وضمير الغائب في (له) عنصر لغوي محيل ، والمحال إليه عنصر لغوي داخل النص ، وهو (ربّكم) ؛ فهي إحالات مقالية قبلية ذات مدى قريب ، وذات مدى بعيد ، وقد أدت إلى تماسك النص ، وترابطه .

٢– إشارية (Demonstrative) ، وتمثلها أسماء الإشارة (هذا وهذه ، وذلك ، وتلك ، وهؤلاء ، وأولئك ... ، وهنا ، وهناك ...) ، ومن الإحالة القبلية باسم الإشارة قوله ﷺ : ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾[٢]، فـ(ذلكم) عنصر لغوي أحال على عناصر لغوية داخل النص ، هي النهي الوارد في مستهل الآية ، والأوامر المتتالية ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴾

---

(١) ابن ماجه القزويني : سنن ابن ماجه ، بَابُ فَرْضِ الْجُمُعَةِ ، ح رقم (١٠٨١) وهو ضعيف .

(٢) سورة الأنعام – من الآية ١٥٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ [1] .

ومن الإحالة البعدية بـه قولـه ﷺ : ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ [2]، فـ(هذه) عنصر لغوي أحال على عنصر لغوي داخل النص ، وهو (سبيلي).

٣- مقارنـــة (Comparative) ، ويمثلهـــا التطـــابق ، والاخـــتلاف ، والتشـابه ، وأسـماء التفضـيل (أكثـر ، وأقـل ، وأفضـل ، وأجمـل ...) ، ومـن خطب النبـي ﷺ تلـك الخطبـة : " إنَّ أَحْسَنَ الحـديث كتـاب الله ، وأَوْثَـقَ العُرَى كلمـة التَّقْوَى ، وخَيرَ المِلَلِ ملَّة إبراهيم عليه السلام ، وخَيْرَ السُّنَنِ سُنَّةَ محمّد ﷺ، وأشـرفَ الحـديثِ ذكـر الله ﷻ، وأحسـنَ القصـصِ هـذا القـرآن ، وخيـرَ الأمـورِ عزائمهـا ، وشـرّ الأمـور مُحْدَثاتُها ، وأحسـنَ الهـدي هـدي الأنبيـاء ، وأشـرف الموت قتل الشّهداء ، وأَغْوَى الضَّلالة الضلالة بعد الهُدَى ، وخير العمل ما نَفَعَ ، وخير الهُدَى ما اتُّبِعَ ، وشر العَمَى عَمَى القلب . واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفْلَى ، وما قلَّ وكَفَى خيرٌ ممّا كثر وأَلْهَى ، ونَفْسٌ تُنْجِيها خيرٌ من إمارةٍ لا تُحْصِيها ، وشرّ المعاذِيرِ حينَ يحضرُ الموتُ ، وشرّ النَّدامَةِ نَدَامَةُ يوم القيامة "[3] .

اجتمـع فـي تلـك الخطبـة مـن وسـائل سـبك الـنص وتماسـكه الإحالـة باسـم التفضيل ، فهو عنصر لغوي متنوع في داخلها أحال على عناصر لغوية داخل النص ، وإحالتـه بعديـة ، وفيهـا إحالـة بالتطابق ، وبالتضاد وشبه الترادف ،

---

(١) سورة الأنعام – من الآية ١٥٢.

(٢) سورة يوسف – من الآية ١٠٨.

(٣) أبو بكر بن العربي : المسالك في شرح موطأ مالك٣/٢٢٨.

وفيها إحالة بالضمير ، وباسم الإشارة ، وفي الجدول الآتي بيان لتلك الإحالات :

صورة الإحالة	العنصر المحيل	العنصر المحال إليه	نوع الإحالة
اسم تفضيل	أحسن	كتاب الله	بعدية
	أَوْثَقَ	كلمة التَّقوَى	
	خَيرَ	ملَّة إبراهيم ﷺ	
	خَيْرَ	سُنَّةَ محمّد j	
	أشرفَ	ذكر الله b	
	أحسنَ	القرآن	
	خيرَ	عزائمها	
	شرّ	مُحْدَثاتُها	
	أحسنَ	هدى الأنبياء	
	أشرف	قتل الشّهداء	
	أَغْوَى	الضلالة بعد الهُدَى	

	خير	ما نَفَعَ	
	خير	ما اتُّبِعَ	
	شر	عَمَى القلب	
	خيرٌ من	اليد السُّفْلَى	
	خيرٌ من	ما كثر وأَلْهَى	
	خيرٌ من	إمارةٍ لا تُحْصِيها	
	شرّ	حينَ يحضرُ الموتُ	
	شرّ	نَدَامَةُ يوم القيامة	
التطابق	أحْسَنَ(الثالثة)	أحْسَنَ(السابقتان)	قبلية
	خَيرَ(الخامسة)	خَيرَ (السوابق)	
	شرّ(الرابعة)	شرّ (السوابق)	
	أشرفَ(الثانية)	أشرفَ(الأولى)	
	خيرٌ من(الثالثة)	خيرٌ من(السابقتان)	
	الضَّلالة	الضلالة	
	العَمَى	عَمَى	
	النَّدامَةِ	نَدَامَةُ	

	الأمورِ	الأمورِ	
	الموتُ	الموتِ	
	الحديثِ	الحديثِ	
	الهُدَى	الهُدَى	
	اليد	اليد	
	الهدي	هدي	
التضاد	الضلالة	الهُدَى	قبلية
	خيرَ	شرّ	
	العليا	السُّفْلَى	
	قلَّ	كثر	
شبه الترادف	الموت	قتل الشهداء	قبلية
الضمير	ها	الأمور	قبلية
	الضمير المستتر	ما الموصولة	
	ها	نفسٌ	
	ها	إمارة	
اسم الإشارة	هذا	القرآن	بعدية

٤- الموصولات (Relative) ، كـ: الذي ، والتي ، والذين ... تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض ، والجمل المختلفة ، وتربط النص بالمقام الذي قيل فيه ، ومن أمثلة الربط بها قول الله ﷻ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ ﴾[1]، فاسم الموصول (الذين) عنصر لغوي أحال على عناصر غير لغوية خارج النص تدرك من سياق المقام ، وهذه العناصر هي أَهْل الصُّفَّةِ الَّذِينَ سَأَلَ الْمُشْرِكُونَ الرَّسُولَ ﷺ طَرْدَهُمْ ، فَأَكْرَمَهُمُ اللَّه بِهَذَا الإِكْرَامِ . وقد أفاد اسم الموصول إبهام العنصر الإحالي حتي يبتعد عن التحديد ، فتكون الآية – وإن نزلت في هؤلاء – صادقةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ[2] .

الوسيلة الثانية : الاستبدال (Substitution)

ويريدون به إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النص . ويسمى العنصر الأول من العنصرين بـ(المستبدل منه) ، ويسمى العنصر الآخر الذي تَمَّ إحلاله محلَّ الأول بـ(المستبدَل) .

ومن أمثلة الاستبدال في الذكر الحكيم قوله ﷻ : ﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَة ﴾[3] ، فالعنصر المستبدل منه

---

(1) سورة الأنعام – من الآية ٥٤.

(2) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب١٣/٥، وأحمد حسين حيال : مرجع سابق٧١.

(3) سورة آل عمران – من الآية ١٣.

هو (﴿) ، والعنصر المستبدل هو (سُورَةٌ) ، وهما واقعان داخل الآية الكريمة[١] .

أقسامه :

قسم علماء النص الاستبدال ثلاثة أقسام :

الأول : **استبدال اسمي** (Nominal Substitution) : تتم فيه عملية الاستبدال داخل النص باستعمال عناصر اسمية ؛ فيستبدل العنصر الاسمي من عناصر اسمية أخرى سابقة عليه في النص ذاته ؛ طلبًا للاختصار ، ومنعًا للتكرار .

ومن أمثلة الكلمات المستبدلة : آخر ، وأخرى ، وآخرون ، ونفس ، واسم الإشارة .

وتأمّل قول الله ﷻ : ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ سُورَةُ الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن

---

(١)ينظر:صبحي الفقي:مرجع سابق ص٢٠،وأحمد عفيفي:مرجع سابق ص١٢٣.

الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الانسان المرسلات النبأ النازعات عبس ﴾[1] . تجد أنَّ فيه شاهدين للاستبدال :

الشاهد الأول في قوله [d] : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ...﴾ ﴿ ...القلم الحاقة المعارج نوح ﴾ ، فقوله : (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ) خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ ، تقديره : ومِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ مَرَدُوا... و(الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ) ، و(مِنَ الشَّيْطَانِ) صفتان لهؤلاء القوم ، وَ(﴿) بِمَعْنَى : نَعْرِفُهُمْ ، فَهِيَ متعديةٌ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ .

وموطن الشاهد في موضعين : مستهل الآية الثانية ، وهو قَوْلُهُ [b] : (﴿) الواقع مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره : ومنهم ، وَ(﴾ ﴿) صِفَةَ المبتدأ ، و(﴾) صفة ثانية أو حال ، ومفتتح الآية السادسة ، وهو قوله [f] : (القلم) الواقع مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره : ومنهم ، و(الحاقة المعارج نوح) صفة المبتدأ ، وكلتا الجملتين ﴿ ﴾ ﴿ ...القلم الحاقة المعارج نوح ﴾ مَعْطُوفَةٌ عَلَى (ومِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ مَرَدُوا)[2].

ووجه الاستشهاد أنَّهُ قد وقع الاستبدال بين عنصرين اسميين : المستبدل

([1]) سورة التوبة – الآيات : ١٠١ – ١٠٦.

([2]) ينظر : أبو البقاء العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق / علي محمد البجاوي ٢/٦٥٧ – ٦٥٩ .

منه (قومٌ) المبتدأ المحذوف في الجملة الاسمية السابقة ، والمستبدل (آخَرُونَ) المبتدأ في صدر الجملة التي عُطفت عليها بالواو ولا ريب أنَّ في ذلك الاستبدال تجنبًا للتكرار ، الذي كان ينشأ لو قيل : وَقَوْمٌ اعترفوا بذنوبهم ، وقَوْمٌ مُرْجون لأمر الله ، ورحم الله مَكِّيًّا ، فقد قال : " والمعنى : ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ﴾ قَوْمٌ ﴿ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ ومنهم آخَرُونَ اعترفوا بِذُنُوبِهِمْ ، ومنهم آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ الله "[1] .

والشاهد الثاني في قوله d : ﴿ ﴿سُورَةُ ٱلۡفَاتِحَةِ ٱلۡبَقَرَة﴾ ، وموطن الشاهد في قوله : (ٱلۡفَاتِحَةِ) ، ووجه الاستشهاد أنَّهُ قد وقع الاستبدال بين عنصرين اسميين : المستبدل منه (﴿) المفعول به في الجملة ، والمستبدل (آخَرَ) المعطوف بالواو على المفعول به ، ولا شَكَّ أنَّ في ذلك الاستبدال دفعًا للتكرار ، الذي كان يقع لو قيل : خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وعَمَلاً سَيِّئًا .

ومنه ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ j قَالَ : " مِنْ حِينِ يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَسْجِدِهِ فَرِجْلٌ تَكْتُبُ حَسَنَةً ، وَأُخْرَى تَمْحُو سَيِّئَةً "[2] . فموطن الشاهد في قوله : (أُخْرَى) ، ووجه الاستشهاد أنَّهُ قد وقع الاستبدال بين عنصرين اسميين : المستبدل منه (رِجْلٌ) ، وهو المبتدأ ، وخبره متقدم عليه ، وهو الجار والمجرور (مِنْ حِينِ) ، والمستبدل (أُخْرَى) المعطوف بالواو على

([1]) مكي بن أبي طالب القيسي : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه ٣١٤٨/٤ .

([2]) أحمد بن حنبل : المسند ، ط : الرسالة ٨/١٤ ، ٩.

المبتدأ ، ولا شَكَّ أنَّ في ذلك الاستبدال تجنبًا للتكرار ، الذي كان يوجد لو قيل : فَرِجْلٌ تَكْتُبُ حَسَنَةً ، وَرِجْلٌ تَمْحُو سَيِّئَةً .

الثاني : **استبدال فعلي** (Verbal Substitution) : ويتم فيه إحلال فعل محلَّ فعل آخر متقدم عليه ، ومن أمثلته ما رواه الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا ، نُصَلِّي ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَرُ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا "[1]، فالعنصر المستبدل هو الفعل (فَعَلَ) ، والمستبدل منه الأفعال الثلاثة السابقة عليه ، وهي (نُصَلِّي ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَرُ) ، ولا يخفى ما في ذلك من بُعْدٍ عن التكرار ، وجنوحٍ إلى الاختصار ، بخلاف ما لو قيل : فمَنْ صلَّى ثم رَجَعَ فنَحَرَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا .

وقول أَنَسٍ ﷺ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " أَكْثِرُوا عَلَيَّ الصَّلاةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا ، أَوَ شَافِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[2]، فالعنصر المستبدل هو الفعل (فَعَلَ) ، والمستبدل منه الفعل السابق عليه ، وهو (أَكْثَرَ) ، ولا يخفى ما في ذلك من بعد عن التكرار ، بخلاف ما لو قيل : فمَنْ أَكْثَرَ ذلك كُنْتُ لَهُ ... .

الثالث : **استبدال عباري** (Clausal Substitution) : يتم فيه إحلال عنصر لغوي محل عبارة داخل النص ، بشرط : أن يتضمن العنصر

([1]) أحمد بن حنبل : مرجع سابق ٣٠/٤٣٢.

([2]) أحمد بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان ، (فضل الجمعة) ، ح (٢٧٧١) .

المستبدل مفهوم العبارة المستبدل منها .

ومن أمثلته في الكتاب العزيز قوله f : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾[١] ، فالعنصر المستبدل هو (ما فعلوه) ، والمستبدل منه العبارة السابقة عليه ، وهي قوله : ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ، فكأنَّ الأصل (ما قَتَل نفسه أو خرج من دياره إلا قليلٌ منهم) ، فجاء الاستبدال ؛ تجنبًا للتكرار ، وروماً للاختصار .

وقوله d : ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾[٢] ، فالعنصر المستبدل هو اسم الإشارة (ذلك) ، والمستبدل منه الآية الكريمة السابقة عليه مباشرة ، وهي قوله f : ﴿ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ أَعُوذُ ﴾[٣] .

وقوله j في أول خطبة خطبها بالمدينة : " فمن استطاع أن يَقِيَ وجهَهُ من النار ، ولو بشِقِّ من تمرةٍ فليفعلْ ، ومن لم يَجِدْ فبكلمة طيبة "[٤] ،

---

(١) سورة النساء – من الآية ٦٦.

(٢) سورة الكهف – الآية ٦٤.

(٣) سورة الكهف – الآية ٦٣.

(٤) أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ١/١٤٨.

فالعنصر المستبدل هو (فليفعلْ) ، والمستبدل منه العبارة السابقة عليه ، وهي (يَقِيَ وجهَهُ من النار ، ولو بشِقِّ من تمرةٍ) ، فكأنَّ الأصل (فَلْيَقِ وجهَهُ من النار ، ولو بشِقِّ من تمرةٍ)[1] ، فجاء الاستبدال ؛ منعًا للتكرار ، وطلبًا للاختصار .

وقوله ﷺ في خطبة الوداع : " لكم عليهنَّ ألا يوطئْنَ فُرُشَكم غيرَكم ولا يُدخلْنَ أحدًا تكرهونه بُيُوتَكم إلا بإذنكم ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ ؛ فإنْ فَعَلْنَ فإنَّ الله قد أذِنَ لكم أن تعضلوهنَّ "[2] ، فالعنصر المستبدل هو الفعل (فَعَلْنَ) ، والمستبدل منه العبارة السابقة عليه ، وهي (ألا يوطئْنَ فُرُشَكم غيرَكم ولا يُدخلْنَ أحدًا تكرهونه بُيُوتَكم إلا بإذنكم ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ) ، ولا يخفى ما في ذلك من بعد عن التكرار ، وجنوح إلى الاختصار ، بخلاف ما لو قيل : فإنْ أَوْطأْنَ فُرُشَكم غيرَكم ، وأَدْخَلْنَ أحدًا تكرهونه بُيُوتَكم ، وأَتَيْنَ بفاحشةٍ فإنَّ الله قد أذِنَ لكم أن تعضلوهنَّ .

وروى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ✂✉ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " لا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَلا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَلا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَالنَّارُ النَّارُ "[3] . فالعنصر المستبدل هو (فَعَلَ) ، والمستبدل منه العبارة السابقة عليه ، وهي (لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَلا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَلا

([1]) ينظر : صبحي الفقي : مرجع سابق ص ٢٠، وأحمد عفيفي : مرجع سابق ص ١٢٤.

([2]) عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ٢٣/٢.

([3]) ابن ماجه القزويني : مرجع سابق ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، ح (٢٥٤) .

تَخَيَّرُوا بِـهِ الْمَجَالِسَ) ، فجاء الاستبدال ؛ منعًا للتكرار ، وطلبًا للاختصار ، بخلاف ما لو قيل : فمن بَاهى بِهِ الْعُلَمَاءَ ، ومَارى بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَتَخَيَّرَ بِهِ الْمَجَالِسَ فَالنَّارُ النَّارُ .

ومن أمثلة مجيء اسم الإشارة مستبدلاً لعنصر آخر متقدم عليه قولهj في مرض موته : " أَلا وإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لـه ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ اللَّهَ وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ ، أَلا وَإِنِّي لا أَرَى ذَلِكَ بِمُغْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مِرَارًا "[(١)] .

فقد استبدل اسم الإشارة (ذلك) من المستبدل منه ، وهو العبارة المتقدمة عليه (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لـه ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ اللَّهَ وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ) .

ومن الملاحظ هنا وجود تداخل بين الإحالة والاستبدال في (ذلك) ؛ فهو عنصر مستبدل ٌ، كما أنَّهُ عنصر من عناصر الإحالة ، " ومن ثم فهناك بعض حالات السبك النصي يمكن تفسيرها بوسيلتين من وسائل السبك في آن واحد إذا تداخلت سمات كل منهما مع الأخرى . إلا أن هناك فرقًا بين الاستبدال والإحالة ، فالاستبدال لا يقع إلا داخل النص على حين تقع الإحالة داخل النص وخارجه ، والاستبدال يعد علاقة على المستويين النحوي والمعجمي ، بينما الإحالة تعد علاقة على المستوى الدلالي ، هذا بالإضافة إلى أن العناصر المستبدلة يشترط اشتراكها فيما بينها في البنية الوظيفية على حين لا يشترط

---

(١) سليمان بن أحمد الطبراني : المعجم الأوسط ، تحقيق / طارق بن عوض الله بن محمد وآخر ٣/١٠٤.

ذلك في الإحالة "[1].

([1]) صبحي الفقي : مرجع سابق ص ٢٠ .

الوسيلة الثالثة : الحذف (Ellipsis)

إنَّ العرب تستحسن الحذف ما اقتضاه الكلام ، ووُجِدَ دليل على المحذوف ؛ لأنَّ حذف ما لا دليل عليه منافٍ لغرضهم من وضع الكلام وهو الإفادة والإفهام ، وأهمية الحذف تكمن في أنَّهُ " بابٌ دقيقُ المَسْلكِ ، لطيفُ المَأْخذ ، عجيبُ الأمرِ ، شبيهٌ بالسِّحر ، فإنَّك تَرى به تَرْكَ الذِّكْر أفصحَ من الذِّكْر ، والصَّمْتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة ، وتَجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تَنْطِق ، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ "[١] وذلك إذا جاء على معهود العرب في خطابها ، وتأليف كلامها ، فـ" الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف ، فإن لم يكن هناك دليلٌ على المحذوف ، فإنَّهُ لغوٌ من الحديث ، لا يجوز بوجهٍ ، ولا سببٍ " [٢] .

وعَرَّفَ دي بوغراند الحذف بأنَّهُ " استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن ، أو أن يوسّع أو يعدّل بواسطة العبارات الناقصة "[٣] ، ويسميه النصيون أحيانًا بـ(الاكتفاء بالمبنى العدمي).

فـ " البنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبًا بعكس ما قد يبدو في تقدير الناظر ، وفي النظريات اللغوية التي تضع حدودًا واضحةً للصواب النحوي أو المنطقي يتكاثر بحكم الضرورة نظرها إلى العبارات بوصفها مشتملة

---

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ١٤٦.

(٢) ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق / أحمد الحوفي وآخر ٢/٢٢١.

(٣) دي بوغراند : مرجع سابق ص ٣٠١.

على حذفٍ بحسب ما يقضي مبدأ حسن السبك "[1] ، ومن أمثلته قوله ﷺ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ [2] ، فلابد من فهم المخاطب والسامع (شَهِدَ الملائكةُ وشَهِدَ أُولوا العلمِ) ، والدليل على ذلك ختام الآية الكريمة ﴿الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [3] ، ولولا هذا الفهم اللازم لجعلنا الملائكة وأُولي العلمِ آلهةً مع الله ﷻ ؛ فالحذف لم يؤدِ إلى الفهم الخطأ للنصِّ ؛ لأنَّ العنصر المحذوف متو قَّعٌ أو مقدَّر بدلالة ما بعده عليه[4] .

ويشترط في عملية الحذف إحاطة متلقي النَّص بمكونات السياق اللغويّ والاجتماعيّ المصاحب له ؛ ليتمكن من تقدير العنصر المحذوف تقديرًا صائبًا.

كما يشترط أن يكون العنصر المحذوف من نفس مادة المذكور من قبل ، أو من معناه ، وأن يكون هناك دليلٌ على المحذوف[5] .

والحذف كعلاقة ترابط نصي وتماسك نحوي " لا يختلف عن الاستبدال إلا بكون الأول استبدالاً بالصفر ، أي : أنَّ علاقة الاستبدال تترك أثرًا ، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال ، بينما علاقة الحذف لا تخلّف أثرًا ، ولهذا فإنَّ المستبدل يبقي مؤشرًا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض ، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال ، بينما الأمر علي خلاف

---

(1) المرجع السابق ص ٣٤٠.

(2) سورة آل عمران – من الآية ١٨.

(3) سورة آل عمران – من الآية ١٨.

(4) ينظر : أحمد حسين حيال : مرجع سابق ، ص ٨٦ .

(5) ينظر : صبحي الفقي : مرجع سابق ص ٢١ .

هذا في الحذف ؛ إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء ، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغًا بنيويًّا يهتدي القارئ إلي ملئه اعتمادًا علي ما ورد في الجملة الأولي أو النص السابق "[١] .

فالسياق والمقام من أساسيات الحذف ، وتكون المحذوفات وسيلةً للربط بين أجزاء النص من خلال المحتوى الدلالي ، ولا يكون الحذف إلا عند وجود القرائن المعنوية أو المقالية التي تومئ إليه ، وتدل عليه ويكون في حذف اللفظ معنى لا يوجد في ذكره .

ويتناول علماء النص الحذف ، ويطلقون عليه (الحذف الاسمي) إذا حذف اسم داخل المركب الاسمي ، نحو قولك في الإجابة عن هذا السؤال : أَيَّ كتابٍ ستشتري ؟ : هذا هو الأفضلُ ، فقد حَذَفْتَ اسمًا داخل إجابتك ، وهو (الكتاب) ، والمعنى : هذا الكتابُ هو الأفضلُ ، ويُسَمُّونه (الحذف الفعلي) إذا حذف فعل داخل المركب الفعلي[٢]، نحو قولك في الإجابة عن هذا السؤال : ماذا تريد أن تَشْرَبَ ؟ : عصيرَ الجوافةِ لقيمته الغذائية وفوائده الصحية ، فقد حَذَفْتَ فعلاً داخل إجابتك وهو (أَشْرَبُ) ، والمعنى : أَشْرَبُ عصيرَ الجوافةِ ... وكما يُحذف الاسم والفعل يُحذف الحرف والجملة والعبارة ، وهاك بعض الأمثلة لذلك من خطب النبي j[٣] :

---

(١) محمد خطابي : مرجع سابق ص ٢١ .

(٢) ينظر : محمد خطابي : مرجع سابق ص ٢٢ ، وأحمد عفيفي : مرجع سابق ص ١٢٧.

(٣) ينظر : صبحي الفقي : مرجع سابق ص ٢١ ، ٢٢.

١ – قوله ﺝ : " خذوا بحظكم ، ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين"[١] ، فترى اللام قد حُذِفت في الفعل (يَعْلم) الثاني اعتمادًا على ذكرها في الفعل الأول (ليعلم) ؛ فمرجعية هذا الحذف مرجعية قبلية مقالية .

٢ – وقوله ﺝ : " يا معشر قريش (أو يا أهل مكة) ما ترون أنّي فاعلٌ بكم ؟ قالوا : خيرًا ، أخٌ كريمٌ ، وابنُ أخٍ كريمٍ ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء "[٢] ، فقد حُذِفَ لفظ (فاعل) من العبارة ، والتقدير : فاعلٌ خيرًا ، والذي أجاز ذلك ذكره في السؤال ؛ فمرجعية هذا الحذف مرجعية قبلية مقالية .

وهناك اسم آخر حُذِف من صدر الجملة التالية لتلك المذكورة ، وهو المبتدأ (أنت) ، والتقدير : أنت أخٌ كريمٌ ، وهذا مفهوم من سياق الكلام ، ومرجعية مثل هذا الحذف مرجعية قبلية مقامية أو سياقية .

٣ – وقوله ﺝ : " والله الذي لا إله إلا هو إنّي لرسولُ اللهِ إليكم خاصةً ، وإلى النَّاسِ كافةً "[٣] ، فحُذِفَ جواب القسم من قوله ﺝ : (وإلى النَّاسِ كافةً) اعتمادًا على الجواب المذكور قبله ، والتقدير : وإنّي لرسولُ اللهِ إلى النَّاسِ كافةً ، فمرجعية هذا الحذف مرجعية قبلية مقالية .

ومن مواطنه في الذكر الحكيم قوله ﷻ : ﴿ ٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾

---

(١) أحمد زكي صفوت : مرجع سابق ١٤٩/١.
(٢) المرجع السابق ١٥٤/١.
(٣) المرجع السابق ١٥٤/١.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[١]، والمحذوف هنا جواب الشرط ، والتقدير : ولو ترى... لرأيتَ أمرًا شنيعًا ، والدال على هذا الجواب المحذوف هو سياق الكلام ؛ فلا بد من اكتمال أسلوب الشرط بتقديره ؛ لكي يتم المعنى ، ويفيد الكلام ، ومرجعية هذا الحذف مرجعية قبلية مقامية أو سياقية .

وقوله ﷺ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[٢]، فالمحذوف في الآية الكريمة عبارة (أَنْزَلَ الْكِتابَ الذي جاء به موسى)، والتقدير : قُل أَنْزَلَ الْكِتابَ الذي جاء به موسى... اللهُ ، والدليل على هذا المحذوف دليلٌ مقاليٌّ ؛ لأنَّ تلك العبارة المحذوفة مذكورة في السؤال من قبل ، فمرجعية الحذف مرجعية قبلية مقالية .

ومن تلك الأمثلة السالفة نلاحظ أنَّ السبك بالحذف قد قام على ثلاثة محاور :

١ - التكرار ، وذلك بعد تقدير المحذوف الذي يكون من مادة المذكور غالبًا ، أو من معناه .

٢ - المرجعيّة بين العنصر المحذوف والعنصر المذكور ، وتكون مرجعية قبلية أو بعدية ، والمرجعيّة داخل النصِّ تسمى مقاليّة ، وخارج النصِّ تسمى

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٢٧.

(٢) سورة الأنعام – من الآية ٩١.

مقاميّة .

٣ - وجود دليل على العنصر المحذوف ، وهو الذي ينشأ مع المرجعيّة الداخليّة ، ومن ثمّ يتحقّق السَّبكُ النّصّي في الكلام[١] .

الوسيلة الرابعة : الربط (Junction)

وسيلة تماسكٍ تشير إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات ، أو بين الأشياء التي في هذه المساحات ، وتشير إلى إمكانية اجتماع العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض في عالم النص[٢] .

ويمتاز الربط عن بقية عناصر التماسك النصي بكونه لا يبحث فيه عن مرجعية في الكلام " السابق عليه أو اللاحق له مثلما كان الحال في الإحالة ، أو يحتاج إلى تقدير محذوف حتى تكتمل سلسلة المتتابعات النصية . وإنما تقوم علاقة الربط أصلاً على أدوات تجمع بين جملتين في المتتالية النصية لإفادة التماسك بينهما . وهذه الأدوات متنوعة ؛ ومن ثم نصَّ المحدثون على صعوبة حصر أدوات الربط في لغةٍ ما . إلا أنَّ الأمر يختلف في العربية ؛ لكون أدوات الربط اللفظية محدودة ، ويمكن حصرها في أي خطابٍ "[٣] ، مثل: حروف العطف ، وحروف الجر ، وحروف الشرط ، والظروف ، وغيرها .

---

(١) ينظر : صبحي الفقي : مرجع سابق ص ٢٢، وأحمد حسين حيال : مرجع سابق ص٨٦.

(٢) ينظر : دي بوغراند : مرجع سابق ص ٣٤٦.

(٣) صبحي الفقي : مرجع سابق ص ٢٤.

أنواعه

وللربط أنواع عند النصيين[١]، دونك بيانها :

١ – الربط الجمعي (مطلق الجمع) ، ويسميه هاليدي ورقية حسن (الوصل الإضافي)[٢] ، ويراد به الربط بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما في نسق زمني ؛ لما بينهما من اتحاد أو تشابه .

ويمثله : الواو ، وعلاقة التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع : (بالمثل – كذلك) ، وعلاقة الشرح ، وتتم بتعبيرات مثل : (أعني – وبعبارة أخرى) ، وعلاقة التمثيل المتجسدة في ألفاظ مثل : (مثلاً – مثل – نحو) ، وعلاقة الإضافة التي تمثلها أقوال مثل : (بالإضافة إلى ذلك – علاوة على ذلك – أيضًا – فضلاً عن ذلك) ؛ فتلك علاقات تجمع معنى القول التالي إلى القول السابق ، فتحقق السبك في بنية النص ، و " أكثر ما يستعمل للدلالة على الوصل هو حرف العطف (الواو) ، وفي حالات أقل : كذلك ، وفضلاً عن ذلك ، وبالإضافة إلى ذلك ..."[٣] ، فوظيفة الواو مطلق الجمع بين الشيئين أو الأشياء دون اقتضاء ترتيبٍ أو تعقيب أو تراخٍ، ومجرد تشريك ما بعدها لما قبلها في إعرابه ، سواءٌ أعطفت المفردات أَمْ عطفت الجمل؛ فـ " إنَّ العرب إذا كان العطف بالواو قدَّمَتْ وأخَّرَتْ ، قال الله ﷻ

---

(١) ينظر : دي بوغرانـد : مرجع سابق ص ٣٤٦، ٣٤٧، وأحمد عفيفي : مرجع سابق ص ١٢٩.

(٢) ينظر : محمد خطابي ، مرجع سابق ص ٢٣.

(٣) دي بوغراند ، ودريسلر : مرجع سابق ص ١٠٧.

: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسۡمِ ﴾[1]، وقال : ﴿ ٱلدُّخَانِ ٱلۡجَاثِيَةِ ٱلۡأَحۡقَافِ ﴾[2]، وقال : ﴿ مِّنَ ٱلزَّبِيرِ غَافِرِ فُصِّلَتۡ ﴾[3]، ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح إلا تقديمُ المقدَّم ، ثم الذي يليه واحدًا فواحدًا "[4] .

ويشترط البلاغيون لكون العطفِ بالواوِ مقبولاً : أن يكونَ بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة (مناسبة) تسوغ الربط بينهما ، ولا يُعْطَفُ بها المتَّحِدَان في المعنَى ؛ لأنَّها تقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه[5] .

ومن أمثلة الربط بالواو قوله j في خطبته حين دعا قومه إلى الله f: " والله لتموتُنَّ كما تنامون ، ولتبعثُنَّ كما تستيقظون ، ولتحاسبُنَّ بما تعملون ، ولتجزوُنَّ بالإحسان إحسانًا وبالسوء سوءًا ، وإنَّها للجنة أبدًا أو النار أبدًا "[6]، فالواو رابط جمع بين جمل جواب القسم الثلاث : (لتبعثنَّ ، لتحاسبنَّ ، لتجزونَّ) ، وهن معطوفات على جملة جواب القسم الأولى (لتموتنَّ كما تنامون) ، وجمع بين المتضادين في العمل والجزاء (بالإحسان إحسانًا وبالسوء

---

(1) سورة التغابن – من الآية ٢.

(2) سورة الأنعام – من الآية ١٣٠.

(3) سورة آل عمران – من الآية ٤٣.

(4) المبرد : الكامل في اللغة والأدب٢/١٥.

(5) يوسف بن أبي بكر السكاكي : مفتاح العلوم ص٢٥١، والخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة٣/٩٨، وعبد الرحمن حَبَنَّكَة : البلاغة العربية١/٥٧٨، ٥٧٩.

(6) على بن موسى الأندلسي : المقتطف من أزاهر الطرف ص ٧٥.

سوءًا) ، وبذلك تكون الواو قد أفادت المشاركة بين المتتاليات النصية ، وربطت الجمل بعضها ببعض ؛ ومن ثم تحقق السبك ، ونشأ التماسك[١] .

٢ – **التخيير** ، وهو الربط بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات لما بينهما من تماثلٍ في المحتوى وصدقٍ في عالم النص ، إلا أنَّ الاختيار لا يقع إلا على محتوى واحد ، ويمثل التخييرَ الأداتان (أو ، وإمَّا) ، وفي النص السابق نلاحظ أنَّ (أو) التخييرية جاءت ؛ لتفيد أنَّ نهاية الإنسان إمَّا الجنة وإمَّا النار تبعًا لعمله في الدنيا الناشئ عن اختياره ، وذلك في قوله : (وإنَّها للجنة أبدًا أو النار أبدًا) ، فدلالة (أو) تخيير الإنسان بين النعيم والجحيم ، فليس له إلا الجزاء الأوفى على ما سعى باختياره ، وربطت بين الجملتين ؛ ومن ثم حصل التماسك النصي .

وجاءت (إمَّا) للتخيير في قول ابْن الدَّغِنَةِ لأَبِي بَكْرٍ حينما كان في جواره ، ففزع كفارُ قريشٍ من استماع نسائهم وأبنائهم لقراءته : " قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِمَّا أَنْ تُرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي "[٢] ؛ فأفادت (إمَّا) تخيير أبي بكر بين أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، ولا يُعلن ذلك ، وبين أن يَرُدَّ إلى ابن الدَّغِنَةِ ذِمَّتَهُ ، فاختار أبو بكر أحد الأمرين ؛ فردَّ إلى ابن الدَّغِنَةِ جِوَارِه ، وَرَضِيَ بِجِوَارِ اللَّهِ تعالى ، وأفادت (إمَّا) الربط بين الجملتين ، وبذلك تماسك النص ، وترابطت أجزاؤه .

---

(١) ينظر : صبحي الفقي : مرجع سابق ص ٢٤.

(٢) محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري (باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه)، ج (٣٩٠٥) .

وقد شملت عناية النحويين عطف المفردات ، وعطف الجمل ، وإن كانت عنايتهم بعطف الجمل أقلَّ ، ومن أمثلة العناية به قول المبرد : " وكلّ جملَة بعْدهَا جملَة فعطفها عَلَيْهَا جَائِز ، وَإِن لم تكن مِنْهَا ، نَحْو : جاءني زيدٌ وَانْطَلَق عبدُ الله ، وأخوك قَائِمٌ وَإِن تأتنى آتِك ، فَهَذَا على ذَا " [1]، وأفصح ابن يعيش عن الغرض منه ، فقال : " والغرضُ من عطف الجمل رَبْطُ بعضها ببعضٍ ، واتصالُها ، والإيذانُ بأنّ المتكلم لم يُرِد قَطْعَ الجملة الثانية من الأُولى ، والأَخْذَ في جملةٍ أخرى ليست من الأُولى في شيءٍ "[2] .

وتناول البلاغيون عطف الجمل المتجاورة بعضها على بعض ، ولم يقف الإمام عبد القاهر عند حدودها ، بل تعداها إلى عطف الجمل غير المتجاورة مقرِّرًا " أنَّ ممّا يقِلُّ نظرُ الناسِ فيه من أمر العطفِ أنَّهُ قد يُؤتَى بالجملةِ فلا تُعْطَفُ على ما يليها ، ولكنْ تُعْطَفُ على جملةٍ بينها وبينَ هذه التي تُعْطفُ جملةٌ أو جملتانِ ، مثال ذلك قولُ المتنبي : [من الوافر]

تَوَلَّوا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنَا ∴ تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي افْتِيالا

فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمُ ذَمِيلاً ∴ وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمَالا[3]

قوله : (فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمُ) معطوف على (تَوَلَّوا بَغْتَةً) ، دون ما يليه من قوله : (فَفَاجَأَنِي) ؛ لأنَّا إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى ،

([1]) المقتضب ٣/٢٧٩.

([2]) شرح المفصل ٢/ ٢٧٨.

([3]) البيتان في شرح ديوانه للعكبري٣/٢٢١.

من حيث إنَّـهُ يدخل في معنى (كَأَنَّ) ، وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مَسِير عيسهم حقيقةً ، ويكون متوهَّمًا ، كما كان تَهَيُّب البين كذلك "[١] .

ولا ينكر تخطي عبد القاهر حدود الجملة إلى النظرة الكلية للنص وسبقه اللسانيات الحديثة في ذلك إلا جاحدٌ ، ومما يشهد له قوله : " فأمر العطف إذن ، موضوعٌ على أنَّك تعطف تارة جملةً على جملة ، وتَعْمِدُ أخرى إلى جملتين أو جُمَل فتعطف بعضًا على بعض ، فتعطف مجموع هذي على مجموع تلك "[٢] .

٣ – **الاستدراك** ، ويسميه دي بوغراند ودريسلر (وصل النقيض)[٣]، وهاليدي ورقية حسن (الوصل العكسي)[٤]، وهو الربط على سبيل السلب بين صورتين من صور المعلومات ، بينهما علاقة التعارض ، ويمثله الأدوات (لكنَّ ، ولكنْ ، وبل ، وبيد أنَّ ، وإلا أنَّ) ، وتلك العبارات (غير أنَّ، وفي المقابل ، وعلى خلاف ذلك) .

ووظيفته : " تسهيل الانتقالات الإشكالية عند النقط التي تلتقي عندها تجميعات من الحوادث أو المواقف تبدو غير محتملة الاجتماع معًا "[٥] ، ففي هذه العبارة التي جاءت في سياق كلام الهاشمي عن سيدنا عمر لمَّا حبس

---

(١) دلائل الإعجاز ص٢٤٤.

(٢) المرجع السابق ص٢٤٥.

(٣) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، مرجع سابق ص ١٠٩.

(٤) ينظر : محمد خطابي ، مرجع سابق ص ٢٣.

(٥) ينظر : دي بوغراند ودريسلر ، مرجع سابق ص ١٠٩، ١١٠.

الحطيئة لإيغاله في الهجاء ، ثم أطلقه :

" واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولكنَّهُ نَكَثَ وأوغل في الهجاء بعد موت عمر "[1] .

يشير الاستدراك أو " وصل النقيض إلى أنَّ الاستجابة الطبيعية للصفقة التي عقدت ، وهي الالتزام بعدم الهجاء لم تتحقق "[2] .

وفيما رواه أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولُ اللهِ j قال : " نَحْنُ الآخِرُونَ ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتِ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ... "[3] ، مفهوم الحديث : أنَّنا نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون بِالفَضْلِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ قبل سائر الأمم ، والمستدرك من ذلك السبق أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ؛ فأفادت (بَيْدَ أَنَّ) معنى الاستدراك أو وصل النقيض ، مثل (غَيْرَ أَنَّ ، وإلا أَنَّ) ، وربطت أجزاء النص بعضها ببعض ؛ ومن ثَمَّ تحقَّق السبك النَّصيّ .

وقوله j لمن قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْوُضُوءِ : « أَسْبِغِ الْوُضُوءَ ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ ، وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ ، إلا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا »[4] ، يسأل الرجل عن الوُضُوءِ الْكَامِلِ الزَّائِدِ عَلَى مَا عُرِفَ ، فَـ(أَلْ) فِيهِ

([1]) أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ١٤٢/٢.

([2]) ينظر : دي بوغراند ودريسلر ، مرجع سابق ص ١١٠.

([3]) مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم (باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) ، ح (٨٥٥) .

([4]) محمد بن عيسى الترمذي : سنن الترمذي (بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ مُبَالَغَةِ =

لِلْكَمَالِ ، أَوْ لِلْعَهْدِ الذِّهْنِيِّ ، فأمره ﷺ بإتمام فَرَائِضه وَسُنَنه ، وبتخليل أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ ، وبِإِيصَالِ الْمَاءِ إِلَى بَاطِنِ الأَنْفِ ، ثمَّ استدرك بـ(إلا أَنِ) الصائم من الأمر بالمبالغة في الاستنشاق فهي مكروهة له ؛ خشية أن يصل إلى جوفه شيء من الماء ؛ فيفطر به .

فقد أفادت (إلا أَنِ) استدراك الصائم من المبالغة المطلوبة في الاستنشاق واستثناءه ، وربطت الكلام اللاحق بالسابق ، ما أدى إلى السبك والتلاحم .

٤ – **التفريع** ، وسماه دي بوغراند ودريسلر (الاتباع) [١]، وهاليدي ورقية حسن (الوصل السببي)[٢] ، وهو وسيلة تشير إلى أنَّ العلاقة بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة التدرج ، والمراد أنَّ تحقق إحدى الصورتين متوقف على حدوث الأخرى[٣] ، وتشمل السبب والنتيجة والشرط ، فتكون المعلومات التالية في النص نتيجة مترتبة على المعلومات السابقة التي تمثل السبب ، وتستخدم لذلك الروابط (لأنَّ – لذلك – من أجل – لذا – لهذا – ومن ثَمَّ – لكي ... إنْ – إذا – لو ...) ، و" الروابط التفريعية تسهم في كفاءة الصياغة ما دام استعمالها لا يتكرر كثيرًا دون داعٍ "[٤] .

ومن أمثلته علاقة السببية في قول علماء الفلك : (ولا تظهر النجوم في

الإِسْتِنْشَاقِ لِلصَّائِمِ) ، ح (٧٨٨) .

(١) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، مرجع سابق ص ١١٠.

(٢) ينظر : محمد خطابي ، مرجع سابق ص ٢٣.

(٣) ينظر : دي بوغراند : مرجع سابق ص ٣٤٧.

(٤) المرجع السابق ص ٣٥٢.

النهار ؛ لأنَّ وهج الشمس القريبة من الأرض يطغى على نور النجوم) .

وتأتي النتيجة (المسبب) مقدمة على السبب في النص لغرض (التسويغ) الذي يعد صورة من صور الاتباع السائدة ، كما في قول الحجاج : " وإنَّ أمير المؤمنين– أطال الله بقاءه – نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها ، فوجدني أمرها عودًا وأصلبها مكسرًا ، فرماكم بي ؛ لأنَّكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضطجعتم في مراقد الضلال"[1] .

ومن أمثلته علاقة الشرطية الدالة على إمكان وقوع الجواب واحتماله في نحو قولك : (إنْ يَحْضُرْ خالدٌ يُغْلَقْ بابُ الحجرة) ، فغلق باب الحجرة أمرٌ محتمل الوقوع ، وهو متوقف على حدوث سببه ، وهو حضور خالد ، وقد ظهر هذا المعنى من استعمال حرف الشرط الجازم (إنْ) .

ومن أمثلته علاقة الشرطية الدالة على امتناع الوقوع لوجود مقتضياته في نحو قوله ﷺ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾[2] ، فامتناع الفظاظة وغلظة القلب وامتناع نتيجتهما يظهره في النص استعمال حرف الشرط غير الجازم (لو) ، والزمن الماضي في الشرط ، والزمن الماضي المقترن باللام في الجواب .

٥ – **الربط الزمني** ، وسماه دي بوغراند ودريسلر (علاقة القرب الزماني)[3] ، وهو علاقة بين قولين متتابعين زمنيًّا ، ويمثلها في العربية

---

(1) أبو العباس المبرد : الكامل في اللغة والأدب ٢٩٩/١.

(2) سورة آل عمران – من الآية ١٥٩.

(3) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، مرجع سابق ص ١١١.

الأدوات (الفاء – ثم – الواو – بعد – قبل – منذ – كلما – بينما – في حين...).

وقد يكون القرب الزماني تتابعيًّا إذا كانت المواقف مرتبًا أحدها بالقياس إلى الآخر ، كما في قوله ﷻ : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[١] .

وقد يشتمل القرب الزماني على تسلسل يتحدد فيه ختام حادثٍ أو موقفٍ ما باستهلال التالي له ، ورُبَّما تضمَّن الأمر علاقة السببية أيضًا[٢] ، كما في قول الحجاج : " وإنَّ أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها ، فوجدني أمرها عودًا وأصلبها مكسرًا ، فرماكم بي"[٣].

٦ – أداة التعريف :

تدخل أداة التعريف على الاسم النكرة فيصير معرفة ، وهي من الأحرف المختصة بالأسماء ، وتشير هذه الأداة إلى ما يسمى المعلومات السابقة ، بينما يعد التنكير إشارة إلى معلومات لاحقة لم يوضحها المتكلم بعد ، مثل قولك : (كان في قديم الزمان فتاةٌ ، الفتاةُ كانت جميلة ومتواضعة) ، فـ(فتاةٌ) نكرة لم تخصص بعد ، تشير إلى معلومة لاحقة ، ويتوقع السامع أن يخبر أكثر عن هذه الفتاة ، و(الفتاةُ) معرفة بالأداة تشير إلى معلومة سابقة ، فيجب أن يكون الاسم المَعْنِيّ – أو المطابق – قد ذُكِرَ من قبل في الجملة

---

(١) سورة النازعات – الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٢) ينظر : دي بوغراند ودريسلر ، مرجع سابق ص ١١١.

(٣) أبو العباس المبرد : مرجع سابق ٢٩٩/١.

السابقة[١] .

وتجعل الدراسات اللسانية الحديثة (أل) التعريفية العهدية ، أو النائبة عن الضمير محققة للترابط النصي ، يأتيها ذلك من اتفاق الإحالة بين الاسم المعرَّف وعنصر آخر متقدم عليه أو متأخر ، ولها نوعان من الإحالة : إحالة مقامية تتحدد بالسياق المقامي أو بالعرف ، وإحالة مقالية قبلية أو بعدية[٢] .

ومن أمثلة الربط بأداة التعريف قوله d : ﴿ العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد ﴾[٣] ، فكل من (مصباح ، وزجاجة) نكرة لم يتقدّم ذكرها ، ولم تخصص بعد ، تشير إلى معلومة لاحقة ، و(المصباح ، والزجاجة) معرفتان بالأداة تقدّم ذكرهما ؛ فهما تشيران إلى معلومة سابقة ، وتسمى (أل) فيهما عهديةً ذكريةً ؛ لأنَّ ما اتصلت به معهودٌ للمتلقي ؛ لسبق ذكره في النص ، فقد تحقَّق السبك النصي من خلال إحالة (أل) مع مصحوبها إلى النكرة قبلها ، وهي إحالة مقالية داخلية قبلية .

وقوله f : ﴿ الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات

---

(١) فولفجانج هاينه من ، وديتر فيهفيجر : مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة د / فالح بن شبيب العجمي ص ٢٩.

(٢) محمد عرباوي : دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي ص ١١١، ١١٢.

(٣) سورة النور – من الآية ٣٥.

﴿ ٱلذَّارِيَٰتِ ٱلطَّوۡرِ ٱلۡبَخۡتِ ﴾[١] ، فـ(رسول) الأول نكرة ؛ لأنَّهُ لم يتقدّم ذكره ، بل يشير إلى معلومة لاحقة ، والثاني معرفة ؛ لأنَّهُ قد تقدّم ذكره ، فهو يشير إلى معلومة سابقة في النص ، وبإحالة (أل) العهدية الذكرية مع مصحوبها إلى النكرة قبلها تحقق السبك النصي ، وهي إحالة مقالية داخلية قبلية .

ومن أمثلة الربط بـ(أل) النائبة عن الضمير قولُ النبي j : " كانَ فيمَنْ كانَ قبلَكُم رجلٌ بهِ جُرْحٌ ، فجَزِعَ ، فأخَذَ سِكِّينًا فحَزَّ بها يَدَهُ فما رَقَأَ الدمُ حتى ماتَ ؛ قالَ اللهُ تعالى : بادَرَني عبدي بنفسِهِ ، حَرَّمْتُ عليه الجنةَ "[٢] .

فـ(أل) في كلمة (الدم) نائبة عن المضاف إليه ، وهو الضمير ، والتقدير : فَمَا رَقَأَ دَمُهُ حتى مات ، وهذا الضمير عائد على هذا الرجل الذي حَزَّ يده بالسكين ، وقد أدت (أل) وظيفته ؛ فحققت التماسك النصي عن طريق الإحالة إلى السابق .

٧ – الاسم الموصول :

الموصول الاسمي هو الذي يقوم بوظيفةٍ أساسيةٍ في تماسك النص وترابطه ، وهي ربط جملة الصلة بالموصول مع الإحالة ؛ إذ يشترط في صلته أن تكون مشتملةً على ضمير يعود على الاسم الموصول ويطابقه ، وهذا الضمير يسمى العائد أو الرابط .

---

(١) سورة المزمل – الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) البخاري : صحيح البخاري (باب ما ذكر عن بني إسرائيل)، ح رقم(٣٤٦٣).

ومن شواهده قوله ﷺ : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾[1] ، فقد اجتمع في السورة الكريمة نوعان من الأسماء الموصولة ، هما المفرد المذكر المختص المبهم ، وهو (الذي) والجمع المذكر المختص المبهم ، وهو (الذين) ، وكلاهما ذُكِرَ مرتين .

ووسائل التماسك في السورة الكريمة متنوعة ، ومتدافعة ، منها :

١-الاستفهام في مستهل السورة " استفهامٌ أريدَ بهِ تشويقُ السامعِ إلى معرفةِ مَنْ سيقَ لَهُ الكلاَمُ والتعجيبُ منْهُ ، والخطاب لرسول الله ﷺ ، وقيلَ : لكُلِّ عاقلٍ ، والرؤيةُ بمَعْنى المَعْرفةِ"[2] ، ففعلها (أرأيت) يتعدّى لمفعولين ، أحدهما (الذي يكذب) ، والثاني محذوف ، تقديره : مَنْ هُوَ ؟ والمعنى : هل عرفت الذي يكذب بالجزاء مَنْ هو ؟ ولا يخفى الارتباط الوثيق الذي بين السؤال والجواب .

٢-والفاء الرابطة جاءت في (فذلك) واقعة في جواب شرطٍ محذوفٍ ، وهي مفصحة عن الشرط المقدر الذي يعد سببًا للجواب المذكور ، و(ذلك) مبتدأ ، والموصول خبرُهُ ، والمعنى: إن لم تعرف الذي يكذب بالجزاء ، أو إنْ أردتَ أنْ تعرفَهُ فَذَلِكَ الذي يَدفع اليتيم دفعًا عنيفًا ، ويرده ردًّا قبيحًا ، ولا يحضُّ أهلَهُ وغيرَهُم مِنَ الموسرينَ على بذل طعام المسكين .

---

(١) سورة الماعون كاملة .

(٢) أبو السعود العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم٩/٢٠٣.

وجاءت في قوله (فَوَيْلٌ) لربطِ مَا بعدَهَا بشرطٍ محذوفٍ ، كأنَّه قيلَ : إذَا كانَ ما ذُكِرَ من عدم المبالاة باليتيم والمسكين مِنْ دَلاَئلِ التكذيبِ بالدِّينِ وموجباتِ الذمِّ ﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾.

وقيل : إنَّ الفاء تفيد ترتيب الدعاءِ على مَنْ يدعُّ اليتيم ولا يحضُّ على طعام المسكين – بالويلِ على ما ذُكِرَ من جرائمهم وقبائحِهم ، ووضع المصلينَ موضعَ ضميرِهم ؛ ليتوسلَ بذلكَ إلى بيانِ أنَّ لهؤلاء القوم قبائحَ أُخَرَ غيرَ ما ذُكِرَ[1]؛ فالمعنى : فويلٌ لهم " إلا أنَّهُ وضع صفتهم موضع ضميرهم ؛ لأنَّهُم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين ، غير مزكين أموالهم . فإن قلت : كيف جعلتَ المصلين قائمًا مقام ضمير الذي يكذِّب ، وهو واحد ؟ قلتُ : معناه الجمع ؛ لأنّ المراد به الجنس"[2] .

ولا ريب أنَّ الفاء الرابطة ، والحذف الذي أفصحت عنه قد حقَّقا التماسك النصي والترابط اللفظي .

٣-اسم الإشارة الذي أعربناه مبتدأ ، والموصول خبره – متعرِّضٌ لوصفِ المشارِ إليهِ ، وهو موضُوعٌ موضعَ الضميرِ (هو) ؛ للإشعارِ بعلةِ الحُكم والتنبيهِ بمَا فيه من معنى البعد على بُعدِ منزلة المكذب بالدين في الشرِّ والفسادِ ، والمعنى : فَذَلِكَ الذي يكذب بالجزاء هو الذي يَدفع اليتيم دفعًا عنيفًا ، ويرده ردًّا قبيحًا[3] .

---

(١) المرجع السابق ٩/٢٠٤.

(٢) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/٨٠٤، ٨٠٥.

(٣) ينظر : أبو السعود العمادي : مرجع سابق ٩/٢٠٣.

٤-كل اسم موصولٍ في السورة مرتبطٌ بجملة الصلة التي وضحت معناه ، ورفعت الإبهام عنه ، وبينت المقصود منه – ارتباطًا شديدًا ؛ لأنَّهُ مفتقرٌ إليها ، وهي التي تسد افتقاره ، فعلاقة الصلة بالموصول هي علاقة الترابط والتلاحم .

٥-الاسم الموصول في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ قد قام بربط جملة الصلة اللاحقة له بالجمل التي قبله ، فالاسم الموصول المفرد (الذي) عائد على المكذِّب بالدين ، ورابطٌ له بجملة الصلة وما عُطِف عليها (يَدُعُّ اليتيمَ ، ولا يحضُّ على طعامِ المسكين) ، وبعده عاد الاسم الموصول الجمعي (الذين) مرتين على المصلين ، وربطه بجملة الصلة (هم عن صلاتهم ساهون) ، و(هم يراءون ويمنعون الماعون) ؛ فلا يخفى ما أحدثه الموصول الاسمي من ربط بين أجزاء الكلام ، وتماسك للنص .

٦- تَحقَّق الاتساق في نص السورة عن طريق الإحالة التي محورها الاسم الموصول ، فقد جاء فيها عنصرًا محيلاً وعنصرًا محالاً إليه ، فالعناصر المحال إليها هي الموصولات (الذي) وقد ذُكِرَ مرتين ، و(الذين) وقد ذُكِرت مرتين أيضًا ، والعناصر المحيلة هي الضمائر العائدة عليها من جملة الصلة، وهي إحالات داخلية قبلية قريبة المدى بحكم وجود المحال إليه داخل النص ، واجتماع المحيل والمحال إليه في تركيب واحد .

وقد جاء الاسم الموصول (الذين) عنصرًا محيلاً على ما قبله كالضمائر ، والعنصر المحال إليه هو (للمصلين) .

ويتضح الحبك النصي في السورة الكريمة من جعل علامة التكذيب بالجزاء متمثلةً في الإقدام على إيذاء اليتيم ، وعدم الحضّ على إطعام

المسكين ، والسهو عن الصلاة والمُراآة بها ، ومنع الزكاة والحاجات عن المحتاجين إليها .

ثانياً – وسائل السبك المعجمي (Lexical Cohesion)

السبك المعجمي يكون بين المفردات ، ويتحقق بوسيلتين :

الوسيلة الأولى : التكرار (Reiteration)

وهو إعادة عنصر معجمي ما ، أو مرادفه ، أو شبهه ، أو عنصر عام يشمله[1]، ويتحقق على مستويات متعددة ، كتكرار الحروف ، والكلمات ، والجمل ، والفقرات .

ويعد التكرار من قبيل الإحالة إلى سابق ، فاللفظ الثاني المكرر يحيل إلى اللفظ الأول ، ويتعلق الألفاظ بعضها ببعض يتحقق السبك[2]؛ ولذا يسمى بالإحالة التكرارية ، وهي الأكثر دورانًا في الكلام ، فـ" إنَّ هذا النوع من إعادة اللفظ يعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة ؛ لأنَّ أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر "[3].

ومثاله : عود الضمير على متقدم في مثل قولنا : الإسلامُ رايتُهُ عاليةٌ ، فضمير الغائب يعود على متقدم هو (الإسلامُ) ، ولا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى الاسم المتقدم ، ومن ثم يرتبط اللفظ الثاني باللفظ الأول

---

(١) ينظر : محمد خطابي، مرجع سابق ص ٢٤، وعمر أبو خرمة: نحو النص ص ٨٣.

(٢) ينظر: صبحي الفقي: مرجع سابق ص٣٠.

(٣) دي بوغراند: مرجع سابق ص٣٠٦.

، وتلك إحالة قبلية قريبة المدى .

ويشترط في التكرار : أن يكون للفظ المكرر نسبة ورود عالية في النص ، وبالوقوف عليه تتضح مقاصد النص ، وتُدرك وظيفته الدلالية فيه .

صوره :

للتكرار صوره التي توضحه ، وأشكاله التي تحدده ، وقد برزت من تعريفه السابق ، دونك بيانها :

أ – التكرار التام ، وهو إعادة اللفظ كما هو ، " وتتطلب إعادة اللفظ وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات والاقتصاد "[١] .

ولهذا التكرار أغراضه التي منها :

١ – التهويل والتفخيم ، ومن أمثلته كلمة (القارعة) في قوله ﷻ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ﴾[٢]، وقد قام تكرارها بالربط بين الآيات الثلاث وتحقيق التماسك النَّصيّ النَّصيّ ، واتفق العنصر المحيل والعنصر المحال إليه ، وتلك إحالة تكرارية قبلية .

---

(١) دي بوغراند : مرجع سابق ص٣٠٣.

(٢) سورة القارعة – الآيات ١ – ٣.

٢- المدح ، ومن أمثلته تكرار كلمة (السابقون) في قوله ﷻ : ﴿فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفُ الدُّخَانُ الْجَاثِيَةُ﴾[١] .

٣- الذَّم ، ومن أمثلته تكرار كلمة (سريع) في البيت الأول ، و(مضيع) في البيت الثاني من قَول الأُقَيْشر : [من الطَّوِيل]

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ العَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ∴ وَلَيْسَ إِلَى داعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيا مَضِيعٌ لَدِينِهِ ∴ وَلَيْسَ لِما فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعِ[٢]

فقد كُرِّرتا في العجز ، وهما مذكورتان في صدر البيت ، وأدى ذلك إلى تماسك الصدر والعجز ، والبلاغيون يستشهدون بمثل هذين البيتين على (رد الأعجاز على الصدور) .

٤- الاستبعاد ، ومن أمثلته تكرار كلمة (هيهات) في قوله ﷻ : ﴿الشُّورَى الزُّخْرُفُ الدُّخَانُ الْجَاثِيَةُ﴾[٣] .

ب – التكرار بالمرادف ، وهو أن يكون العنصر المحيل متفقًا في المعنى مع العنصر المحال إليه ، مثل قولك : تَسَابَقَ الطُّلابُ في الصُّعُودِ إلى قِمَّة الجبلِ ، كان التَّسَلُّقُ سهلاً ، وقولك: أطعني ولا تعصني ؛ فإنَّ

---

(١) سورة المؤمنون – الآية ٣٦.

(٢) البيتان في الحماسة المغربية ، لأبي العباس التادلي ١٣٧١/٢.

(٣) سورة الواقعة – الآيتان ١٠، ١١.

الأمر بالطاعة معناه النهي عن المعصية .

ج – التكرار بشبه الترادف ، وهو أن يكون العنصر المحيل قريب المعنى من العنصر المحال إليه ، مثل قولك : تَسَابَقَ الطُّلابُ في الصُّعُودِ إلى قِمَّة الجبلِ ، كان المشيُ سهلاً .

د – التكرار بالاسم العام ، وهو أن يكون العنصر المحيل عامًّا يشمل العنصر المحال إليه ، مثل قولك : تَسَابَقَ الطُّلابُ في الصُّعُودِ إلى قِمَّة الجبلِ ، كان هذا سهلاً .

الوسيلة الثانية : المصاحبة المعجمية (Collocation)

ويريدون بها علاقات الربط القائمة بين الألفاظ المنفردة في اللغة[١]، مثل :

١ – علاقة التَّضَادِ ، وهي أن تكون دلالة أحد اللفظين تعارض دلالة الآخر ، كـ(تُؤْتِي ، وتَنْزِعُ) ، و(تُعِزُّ ، وتُذِلُّ) في قول الله – تعالى –:﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس هُود يُوسُف ﴾[٢].

٢ – علاقة الجزءِ بالكلِّ ، كعلاقة المفرد (آية) بالجمع (آيات) في قوله

---

(١) ينظر : صبحي الفقي : مرجع سابق ص٣٣.

(٢) سورة الأنعام – الآية ٤.

– عـز وجـل –: ﴿ ﴾[1]، وعلاقـة الرقبـة بـ(الأسير) ، وعلاقة السمع والبصر واللسان والجوارح بـ(المؤمن) في قول الحسن البصري : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَسِيرٌ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى فِي فِكَاكِ رَقَبَتِهِ ، لا يَأْمَنُ شَيْئًا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ ، يَعْلَمُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ عَلَيْهِ فِي سَمْعِهِ ، فِي بَصَرِهِ ، فِي لِسَانِهِ ، فِي جَوَارِحِهِ "[2] ، ولا ريبَ في أنَّ المصاحبةَ المعجميةَ متمثلةٌ في علاقة الجزء بالكل .

٣– علاقة الجزءِ بالجزءِ ، كعلاقة بعض الظالمين ببعضٍ في قوله – تعالى –: ﴿ ﴾[3].

٤– التضامّ أو التلازم الذكري ، وهو : تطلُّب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى ، فياء النداء كلمة مستقلة ، والعلاقة بينها وبين المنادى علاقة التضامّ ، والمضاف إليه كلمة غير المضاف ، ولكن العلاقة بين الكلمتين أنَّ إحداهما تستلزم الأخرى ولا تقف بدونها ، وبعض الأسماء المبهمة مفتقرة إلى الإضافة ، كـ: حيث وإذ وإذا ، وتتطلب واو القسم مقسمًا به ، وحرف الجر مجرورًا ، وحرف العطف معطوفًا ، وهلُمَّ جرًّا[4] .

---

(1) سورة الأنعام – الآية ١٢٩.

(2) الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك ص١٠٣.

(3) سورة آل عمران – الآية ٢٦.

(4) ينظر : تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ص٩٤، ٢١٧.

*****

***

*

الخاتمة

لقد قرأت عن نحو النص ومعاييره السبعة حينما صادفت هجمةً شَرِسَةً على التراث النحوي في بعض المجالس العلمية ، وكان الدافع إليها افتتان بعض الباحثين بهذا المذهب الحديث ، وعزوفهم عن التراث النحوي ، وتقليلهم من شأنه ، وزادني رغبةً في القراءة عنه وقوفي على أخطاءٍ لهم في تطبيقاتهم على بعض الآيات الكريمة ، وردِّي عليهم ؛ فوقع في خلدي أنَّ المتشبع بالتراث لا يمكن أن يستعصي عليه أيُّ جديدٍ ، بل قد يفوق بعض المولعين به ؛ فقرأت كتبًا في نحو النص قراءاتٍ ، كان من ثمارها وضوح فكرته ، وهذا الموضوع المتناول ، الذي انتهى إلى تقرير النتائج الآتية :

أولاً – نحو النص امتداد طبعي لنحو الجملة ، اقتضته الحركة العلمية السارية في لغتنا الشريفة ، فلا يجوز العزوف عنه ، وعدم الاستفادة منه ، ولا يقبل تطرف بعض الباحثين المحدثين بمحاولة عزله عن نحو الجملة ، وجعله غربيًّا خالصًا ، ووأد الصلة بين القديم والحديث .

ثانيـًا – قواعد نحو الجملة هي القواعد المؤسسة لنحو النص ؛ ولذلك فهما يتكاملان ولا يتعارضان ، ويتواصلان ولا ينفصلان ؛ لأنَّ ثانيهما امتدادٌ للأول ، ونتيجةٌ حتميةٌ اقتضتها طبيعة عصر العولمة ، واستلزمها تلاقح الثقافات .

ثالثاً – للسبك دلالته في نحو الجملة ، ووسائله التي تحققه ، بل

إنَّ هناك سبكًا في العربية بلا سابك جاء في ثلاثة مواضع ؛ نزولاً على حاجات السياق الملحة ، وقد أثبتها هذا البحث ، وجمعها ؛ فلا يسوغ تجاهلها ، فليس بعد التجاهل إلا العيب بعدم الدراية بما في كتب التراث النحوي ، والانسلاخ من الأصالة التي لا تستقرُّ معاصرةٌ بدونها .

رابعاً - للسبك دلالته في نحو النص ، ووسائله التي تحققه ، ومنها ما هو في نحو الجملة ، ولا ينقصه إلا تسميته بـ(السبك ، أو وسائل السبك) ، ولا ريب أنَّ السبك بوسائله المتنوعة يوفر للنص خاصية الاستمرار اللفظي، وشدة التلاحم السطحي ، وقوة الترابط الرصفي ، وهذا يؤدي إلى انسجام المعنى ، واحتباك الدلالة .

خامساً – كان الانتقال بوسيلتي السبك : الإحالة المتبادلة ، والاستبدال من النظرية إلى التطبيق – كاشفًا عن مواطن الجمال ، ومظاهر روعة البيان في عربيتنا ، وفي الكتاب العزيز ، وكلام النبي الكريم ﷺ .

سادساً – تدرس النصوص الشعرية والنثرية دراسة نحوية نصية مراعًى فيها المعايير السبعة ما عدا النصوص الدينية ؛ فلا يقال فيها بـ(التناص) بمفهومه عند المحدثين ؛ لاصطدامه مع عقيدتنا الراسخة في الكتاب العزيز ، وكلام المعصوم ﷺ ، بل يكتفى معها بالمعايير الستة فقط .

سابعاً – ضرورة متابعة المذاهب الحديثة في اللغة والنحو ، ودراستها للوقوف على أهميتها في الكشف عن أسرار اللغة ، وبيان ما

فيها من عوار، لو بدا . ولا عذر لبعض الجامعات إن غضَّت الطرف عن تلك المستجدات على الساحة اللغوية ، ولم تنظر إليها ولو بعين الناقد الموضوعي الذي يميز الخبيث من الطيب .

هذا ، والحمد لله رب العالمين ﴿ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنسَانِ المُرسَلَاتِ ﴾[1] ، والصلاة والسلام الدائمان المتلازمان على النبي العربي رائع البيان ﷺ ، وعلى آله ما تعاقب الليل والنهار .

الباحث

([1]) سورة الأعراف – من الآية ٤٣.

أهم المصادر والمراجع

- القــرآن الكــريم ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود/١].

- أبو البقاء العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، تح / علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه (بدون ت ط).

- أبو البقاء العكبري : شرح ديوان المتنبي ، تح/ مصطفى السقا وآخرين ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (بدون ت ط) .

- أبو بكر ابن السراج : الأصول في النحو ، تح/ عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت (بدون ت ط) .

- أبو بكر بن العربي : المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك ، قدم له د/ يوسف القرضاوي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م .

- أبو السعود العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بدون ت ط) .

- أحمد بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان ، تح د/ عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣م .

- أحمد حسين حيال : السبك النصي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام) ، رسالة ماجستير بقسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جمهورية العراق

، ١٤٣٣هـ ٢٠١١م .

- أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، (بدون ت ط) .

- أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، الناشر مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة .

- أحمد بن محمد الأُبَّذِيّ الأندلسي : الحدود في علم النحو ، تح/ نجاة حسن عبد الله نولي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

- أحمد بن محمد بن حنبل : المسند ، تح/ شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .

- أحمد بن محمد الميداني : مجمع الأمثال ، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان (بدون ت ط).

- الأزهر الزَّنَّاد : نسيج النص (بحث فيما به يكون الملفوظ نصًّا)، الطبعة الأولى ١٩٩٣م ، الناشر : المركز الثقافي العربي ، بيروت .

- بشير إبرير : من لسانيات الجملة إلى علم النص ، مجلة الموقف الأدبي ، الجزائر ، (بدون ت ط) .

- تمام حسان : اجتهادات لغوية ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

- تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، الطبعة الخامسة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

- جلال الدين السيوطي : الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطي تح د/حمدى عبد الفتاح مصطفى ، مكتبة الآداب ، الطبعة الخامسة ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .

- جلال الدين السيوطي : همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع تح د/ عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية بالقاهرة (بدون ت ط) .

- ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

- حسن بن قاسم المرادي : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، تح د/ عبد الرحمن على سليمان ، دار الفكر العربى بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

- الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، تح الدكتورين/ مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، (بدون ت ط) .

- خالد الأزهري : التصريح بمضمون التوضيح ، تح/ محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

- رضي الدين الاستراباذي : شرح كافية ابن الحاجب ، تح د/ يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس ، (بدون ت ط) .

- رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

- روبرت دي بوغراند : النص والخطاب والإجراء ، ترجمة د/ تمام حسان،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، الناشر : عالم الكتب ، القاهرة .

- روبرت دي بوغراند ، ولفغانغ دريسلر : مدخل إلى علم لغة النص ، ترجمة/ إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م ، مطبعة دار الكاتب .

- الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .

- سعيد حسن بحيري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، ومكتبة لبنان ، ناشرون .

- سليمان بن أحمد الطبراني : المعجم الأوسط ، تح/ طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة (بدون ت ط) .

- سيبويه : الكتاب ، تحقيق الشيخ/ عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٧م .

- صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية أنموذجًا)، مجلة علوم اللغة ، المجلد التاسع العدد الثاني ، ٢٠٠٦م .

- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تح/ محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م.

- ابن عقيل : شرح ابن عقيل على الألفية ، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه ، الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م .

- علي بن محمد الأشموني : منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بدون ت ط).

- علي بن موسى الأندلسي : المقتطف من أزاهر الطرف ، شركة أمل ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ .

- عمر محمد أبو خرمة : نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى)، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

- عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٢٣هـ .

- العيد علاوي : التماسك النحوي أشكاله وآلياته ، مجلة قراءات عدد ٢٠١١م ، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها ، جامعة بسكرة ، الجزائر .

- فهيمة لحلوحي : علم النص (تحريات في دلالة النص وتداوله) مجلة كلية الآداب واللغات ، العددان : العاشر والحادي عشر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، ٢٠١٢م .

- فولفجانج هاينه من ، وديتر فيهفيجر : مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمد د/ فالح بن شبيب العجمي ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

- محمد بن إسماعيل البخاري : الجامع المسند الصحيح ، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

- محمد خطابي : لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، الطبعة الأولى ١٩٩١م ، المركز الثقافي العربي ، بيروت .

- محمد بن عبد الله بن مالك : شرح التسهيل ، تح الدكتورين/ عبد الرحمن السيد ومحمد بدوى المختون ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

- محمد عرباوي : دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي (دراسة تطبيقية في صحيح الأحاديث القدسية للشيخ مصطفى العدوي) ، رسالة ماجستير في اللسانيات العامة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجزائر ، ٢٠١٠ - ٢٠١١م .

- محمد بن علي الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشمونى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بدون ت ط) .

- محمد بن عيسى الترمذي : سنن الترمذي ، تح/ بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م .

- محمد بن يزيد المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي - القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

- محمد بن يزيد المبرد : المقتضب ، تح د/ محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

- مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي (بدون ت ط) .

- موفق الدين بن يعيش : شرح المفصل ، عالم الكتب، بيروت ، ومكتبة المتنبي ، القاهرة (بدون ت ط) .

- ابن ماجه القزويني : سنن ابن ماجه ، تح/ شعيب الأرناؤوط وآخرين ، دار الرسالة العالمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .

- النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني ، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر (بدون ت ط).

- ابن هشام الأنصاري : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ومعه كتاب : عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك للشيخ/ محمد محيى الدين ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة جديدة منقحة سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

- ابن هشام الأنصاري : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح/ عبداللطيف محمد الخطيب ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

*****

***

*